

مَجَالِي الْأَدَبِ

في
مَجَالِي الْأَدَبِ

حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عُنيَ بجمعه وضبطه وتصحيحه

الأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع



طبعة خامسة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٥

بيروت معارف هبتي طرفه دن نشرينه رخصت التمشدر

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ

فِي التَّائِيْدِ

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَضْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِتْقَالِ . أَلَا تَعْلَمُ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارَ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطَانِيهِ . وَتَهَلَّلْتَ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارَ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرْتَ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّيْتَ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامَ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح موافق الايجي للجرجاني)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمَمَاتِ . وَقَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْيَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَمُحَرِّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدْبِرَاتِ . وَمُزِينَهَا بِالنُّجُومِ
الْثَوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمُقَرِّرَ الْأَرْضِ وَمُهَيِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
أَلْوَاكُ وَنَعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقزويني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عَقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَقَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُوَبَّدًا
يَسْمِعُ بَصِيرُ عَالَمٍ . تَكَلِّمُ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْفَتِهَا قَدِيمٌ فَانْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَانَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةٌ تَحْوِي الْإِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذْ الْكُونُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَهَذَا كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَّ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَيًّا دَائِمًا الْعِزُّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ اللَّهُ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْءٌ نَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَيْنَهُ فَذَلِكَ زَنْدِيقٌ طَلَمَا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْتَنَدَا
٤ رُوِيَ أَنَّ الزُّنْخَشَرِيَّ سَأَلَ الْأِمَامَ الْغَزَّالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَتُرَكِّ الْأَنْبَحْثَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ

ثُمَّ سِرُّ غَامِضٍ مِنْ دُونِهِ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِلَّاكَ وَلَمْ لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكَّبَتْ أَنْ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا أَنْتَ أَكْثَلُ الْخَبِيرِ لَا تَعْرِفُهُ فَإِذَا كُنْتَ طَوَايَاكَ الَّتِي كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَهُوَ لَا كَيْفُ وَلَا أَيْنَ لَهُ وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالًا

ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ تَذِرُ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْفُحُولُ هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوَدُّ بَيْنَ جَنْبِكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولُ لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحُولُ وَهُوَ فِي كُلِّ أُنْوَاحٍ لَا يَزُولُ وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولُ

• قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ أَحَدَثَ الْخَلْقِ بَنَنَ كَافٍ وَنُونٍ مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَرَدٌّ وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَاخِحَاتٌ وَرِيَّاحٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَدَرَارٌ بَكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَارُ فِيهَا

وَصَحَّ الْحَقُّ وَاسْتَبَانَ السَّبِيلُ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ وَوَعُورٌ مَجْمُولَةٌ وَسَهُولُ وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسُيُولُ وَنَحَابٌ يَسْقِي الْجِمَاتِ ثَقِيلُ وَنُجُومٌ طَوَالِجُ وَأَقُولُ وَأَعْتَزُّهَا دُونَ الدُّهُولِ دُهُولُ

فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحَجَبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُسْكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَنُحْيِي الْأَحْوَاتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سَرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمٍ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عِلَالِهِ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عِيدُ وَلَهُ الْغَزُّ وَالْغَزِيُّ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَذُولُ
 أَفْتَبْرَهُ الْبَرَائَا فَهُمْ فِي رَحْمَةِ ظَاهِمَا عَلَيْهِمْ ظَالِمُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعْمَ الْوَكِيلُ
 أَخِي قَاتِلِي يَمُوتُ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَنْلِي إِنْ أَلَكَّرِيمُ يُنِيلُ
 وَأَجْرُنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ حَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوُشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَأَقْتَقِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأُفْلِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظَامُ قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرُ زَاخِرٍ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَضْطَبَّارِي عَلَى الْعَذَابِ قَالِيلُ
 وَالرَّجَافِيكَ وَالرِّضَامِيكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجَّةٌ مِنْ مَتْنِ بَدِئَةِ الْإِمَالِي فِي التَّوْحِيدِ

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدِئَةِ الْإِمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنْتَ كَاللَّالِي
 إِلَاهُ الْخَاقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْقَدِيرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنُ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طَرًّا
لَسَمِيَّ اللَّهِ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
وَلَيْسَ الْأَنْسَمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَى
وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجْهٌ
وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
وَمَا التَّنْشِيهُ لِلرَّحْمَنِ وَجْهًا
وَلَا يَمُضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
وَمُسْتَقْنِ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
يُمِيتُ الْخَلْقَ طَرًّا ثُمَّ يُحْيِي
لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاتٍ وَنُعْمَى
وَلَا يَفْنَى الْحَجِيمُ وَلَا الْخِنَانُ
بَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بَغِيرِ كَيْفٍ
فَيَسْتَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

أَغْيَبُ وَذُو الْأَطَائِفِ لَا يَغِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
فَكَمِ اللَّهُ مِنْ تَذْيِيرِ أَمْرِ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ عُسْرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَا لِي نَعِيرَ بَابَ اللَّهِ بَابَ
كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بِرُحْمَةٍ لَطِيفٍ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عَنَارِي
وَأْمُرْ صَنِيَّ الْهُوَى لِهَوَانِ حَظِي
وَعَاذَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي
وَعَدَّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي
وَأَنسَنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكْنِي نَبْذَ زَمَانٍ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي
إِلَهِمِّي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَايَ
وَكَمْ مُتَمَتِّقٍ يَخْتَجِي عِنَادَا
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّحِ الْهُوَى مُسْتَضْعِفٍ بِي
وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْمَعِي
فَيَادِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ فَرَجَ
وَصَلَ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفَرُّجٍ نَائِبَةٍ ثَوْبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّرِّ لِلدَّاعِي لِحُبِّ
رَحِمٍ غَمٍّ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثَتِي الذُّرُوبُ
وَأَكُنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَلِيبُ
وَصَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ تَذْيِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهَلًا أُنِيبُ
فَهَلْ يَأْسِدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَضَمَتْ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَنِي بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْهُوَادِ لَهَا دَيْبُ
إِيَّيْ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَوْبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّى نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِن عَرَّتِ الْحُطُوبُ
وَأَفْنَى عِدَايَ وَأَقْرَنَ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَالِمِهِ غُرُوبُ
وَأَلْهِمْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذُودِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الإتهال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرِضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَبَضَلًا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمَّتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَمَزِيدُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيهَا وَقَفِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ
حُجَّتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ قُدُونُهُ حَجَبَتُهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ قُدُونُهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَخْرَسُ الْأَفْوَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بِوُجُودِهِ أَبَدًا فَمَا أُنْظَرَاهُ وَالْأَشْبَاهُ
وَالِيهِ أَذْغَعَتِ الْعُمُورُ فَأَمَتَتْ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ بِالْغَيْبِ تُؤْتَرُ حُبًّا إِيَّاهُ
طَوَعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِمِزِهِ وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ
وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّلُوعُ وَالْإِغْرَاهُ وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّلُوعُ وَالْإِغْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَّاهِ غَيْرُهُ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَّاهُ
 أَبَدَى يُنْجِيكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بِسَيْطِ الْأَرْضِ قَرَشًا مُثْنِيًا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالْنبَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبِّ رَحِيمٍ مُشْفِقٍ مُتَعَطِّفٍ لَا يَنْتَهِي بِالْخَضِرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَاقَاهُ
 فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ فَادْعُ الْإِلَاهَ وَقُلْ سَرِيمًا يَا هُوَ
 لَا تُخْشِنُ الظَّنَّ الْجَبِيلَ بِهِ بَدَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
 وَلِحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَقْبَلْ عَلَى عَبْدٍ عَمَى مَوْلَاهُ
 يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ قَانَ لِدَائِمٍ
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحٌ شَاكِرٍ لِمَعْرِفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمُرَاحِمِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرِ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ قَائِمٌ وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو لِكَشْفِ الْعَظَائِمِ
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَاقَالَةَ الْأَصْحَارِ وَالْحَبِّ وَالْتَوَى وَيَا قَالِسِيمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْحِثَانِ فِي لُجْ بَجَرِهَا
وَيَا مُخْصِي الْأَوْرَاقِ وَالْتَبِتِ وَالْحَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبِ مُرِّمِ حَسْبِيَ اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَا
الْقَادِرُ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمُدَبِّرُ لَا
مَنْ لَا يُعَالِ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
وَلَا يُغَيِّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعَيِّرُهُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَبَسْتُ تَوْبَ الرِّجَاءِ وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
قُلْتُ يَا عِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتِمِدُ

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
 أَنَّنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَتَيْنَ عَلَمِي مِنْ ثَنَائِكَ
 مُتَّحِبُّ فِي غَيْبِكَ أَوْ أَحْمَى مَنِيعُ فِي عَلَائِكَ
 وَظَهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَزْ أَفْعَالِ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
 عَجَبًا خَفَاؤِكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورِكَ مِنْ خَفَائِكَ
 مَا أَلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشْعَةُ مِنْ ضِيَائِكَ
 بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَجِيعٌ مِنْ عَطَائِكَ
 مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
 إِلَّا وَوُجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى خَنَائِكَ
 فَانْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْثُ بِكَ عَائِدَاتِكَ مِنْ بَلَائِكَ
 قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أَمْتَحَانِكَ وَابْتِلَائِكَ
 وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَوْ أَمْكَانِ صَدَا عَنْ فَنَائِكَ
 وَرَمَتْهُ فِي ظُلَمِ النَّمَا صِرَ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
 فَإِذَا أَرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتَهُ الْقُيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
 فَالْطُّفُ بِهِ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عَالَمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
 وَأَسْلَكَ بِهِ سَنَنَ الْهَدَا يَهُ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
 ١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْخَوَاصِّ حَاجَةً فَادْعُ الْإِلَاهَ وَأَحْسِنِ الْأَنْعَالَ
 فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِمُدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيفُ إِمَّا أَرَادَ فَعَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَافِهِمْ لَهْجًا تُضَعِّضُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تُتَى اللَّهُ وَالزَّمْ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا قَالَ زَمِ الْفَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرِرْ بِأَنَاسِ رَضُوا مِنَ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسُّفْسَفَةَ
وَدَعِ عَنْكَ قَوْمًا يَعِيبُونَهَا فَفَلَسَفَةُ الْمُرءِ فَلُ السُّفَةَ
لَمَّا حَضَرَتْ أُلُوفًا أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا عَادًا نَأْتِي دِيَارَ الْحَمِي وَيَنْزِلُ الرُّكْبُ بَعْنَانَهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا لِمَتَانَهُمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِلَاتِي وَجِبِ اتِّقَانَهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَا سِيَّامًا عَنْ تَرْجَانَهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

١٥ (مِنْ التَّهَجُّجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَنَصِيَّتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَنَصِيَّةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَالِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَأَلْتَقَوْنَ
فِيهَاهُمْ أَهْلُ الْقَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ وَمَشِيمُهُمُ

أَلْتَوَّاضِعُ غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ . وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا
 مُنْسَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتَهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا رُكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ يَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَغْنِنِي مَا لَا يَتْلَمُونَ . فَمِنْ
 عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي الدِّينِ . وَخَزْمًا فِي لِينٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي قَافَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَعْمٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهْمُهُ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذَرًا وَيُصْبِحُ فَرَحًا .
 حَذَرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَفْلةِ . وَفَرَحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا نَكَرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا مَحَبُّ . قُرَّةَ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمُزِّجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

رَأَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ . قَلِيلًا زَالَهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَزْرُورًا
 أَكْبَهُ . سَهْلًا أَمْرَهُ . حَرِيذًا دِينَهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ . مَكْظُومًا غَيْظَهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
 قَطَعَهُ . يَبْعِدُ أَخْشَاهُ . لِنَا قَوْلَهُ . غَائِبًا مُنْكَرَهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُقْبِلًا
 خَيْرَهُ . مُذْهِبًا أَسْرَهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورُ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورُ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْفِضُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفِظَ . وَلَا يَلْسَنِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَازِرُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصِيبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ . وَإِنْ
 ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَبَّ نَفْسُهُ لِأَخِيَّتِهِ
 وَأَرَاهُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدُهُ وَرَأَاهُ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دُنَائِمَتِهِ لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعَدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَتُهُ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَنَصَّتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
 وَفَرَّقَ أَلَمْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَأَلَا نَحَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَزُودُ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارَزُ اللَّهَ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَمْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي الْغَيِّ مَنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي وَمَنْجَى الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
لَا أَتَّبِعِي عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلاً وَصِرْتُ أَعْصَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشْيِبِ شُومُ
يَا جَامِعَ أَمَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَالِكَ الْفَرِيمُ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتَلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوَتَيْشِ خِنَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمُ
يَا وَاسِعَ الْأُطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمَشْفِقُ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ فَحُلْ مَا تَقَعْدُ الْخُصُومُ
وَسَامِحَ الْكُلِّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْأُمَمِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُهُ . لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْأَعْمَلِ . وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاعِيَيْنِ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنْعَ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَنْقُلُ عَمَلَهُمْ . وَيُغْنِي الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ أَكْثَرَهُ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنَ
 لَاهِيًا . يُغْجِبُ نَفْسَهُ إِذَا عُوفِيَ وَيَقْطُ إِذَا أُتْبِلَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَ رَحَاءً أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَقْنُ وَلَا
 يَقْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ أَسْتَفْنَى بَطَرُ وَفَيْنَ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَطُّ وَوَهِنَ .
 يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمُعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَنَتْهُ مَخْنَةُ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَتَعَبَّرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطَّ . فَهُوَ بِأَقْوَلٍ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ أَعْمَلٍ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَفْرَمًا . وَالْعُرْمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَعْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَخْتَفِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوَمَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّلَاجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِبَصِيرٍ وَعِبْرَةً لِنَاطِلٍ مُفَكِّرٍ

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقَ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٌ طَائِلَةٌ وَمَالٍ كَثِيرٌ وَبَاخٍ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا إِلَيَّ أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةٌ بِوَرْدٍ
ثَمِيرٍ . فَقَعَلَ . فَأَتَانِي لَتَأْتِي إِذَا يَقَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَهَمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْخِدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشَايِكَ
وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَقْدِكَ ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

يَا خُلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَنَا وَسَدَتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمُّ الْجَنْدَلِ
فَأَهْدِ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَأَنْتَبَهَتْ مُرْعُوبًا . وَخَرَجَتْ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستطوف المستظرف للابشيحي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنْزَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِي السُّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِمَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَعِمَّ نَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَبْقَى وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَلَا أَعْلَى وَلَا النَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ الْخُتْمُ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيَضْحِكُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِئُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَخْذَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُخْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَضْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذَبُّرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ نَفْعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارُ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً قَهْلِي لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أُنْجَرُ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ حَضَابُ

ذو النون والزهدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَيْتَهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ
الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحَيَاتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
قَامَتْ تَحَبَّتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ فِي الْخُلُوتِ .
وَلَعَلَّتِيكَ سَجَّتِ النَّيْتَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَلِحَالٍ قُدْسِكَ
تَصَافَّتِ الْأَمْوَاجُ الْمَلَامَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ الْأَيْلِ
وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَالْمَلَكُ الدَّوَّارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَّارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَّارُ وَالنَّجْمُ
الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَعْلَى الْزَّهَّارِ . ثُمَّ أُنْشَدَتْ :
يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي حُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْغَزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْهُوَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالَ
فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ
رَفَعَتْ طَرَفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أَحِبُّكَ حُبِّيْنِ حُبِّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَا
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفَكَ لِلنَّجْبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فِإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبقاعي)

ذلة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
وَأَجَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ قَتَّانٌ . وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فَسْتَجِيبُ. وَتَرْجُهَا فَتُخِيبُ. نَاقِضَةٌ لِلزَّيْمَةِ مُرْتَجِمَةٌ لِّلْمَطِيَّةِ كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَذْرِي. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصِّقْلِيُّ :

وَلَا يَفِرُّكَ مِنْهَا حَسَنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رَدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاعِي مِيلَةً :

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْبَصَرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ فَنَطْرَةٌ تُعْبَرُ
فَلَا تَعْمُرُنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْحَرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذَخَّرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذَخَّرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْبَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَغْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْكَرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فُخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمُّهُمْ الْحَشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْإِرْكَكَ نَا خَيْرٌ مَّا يُذْخَرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّلَاحِجِ) . وَأَتَذُّوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادَرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَأَتَبَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا زُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَاحَلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَمَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَوِّحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةَ تَقْصُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجْدِيرَةٌ بِقَصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَايَةً يَخْدُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوْدُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ الدُّنْيَا مَا تَحْزِرُونَ بِهِ نُفُوسَكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدِي
 مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مَسْتَوْرِعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا . وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ
 لِيَسُوِّفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَمْنُونَتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَلَهَا حَسْرَةٌ
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ . وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تُحْلِلُ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا
 كَابَةً

(لها الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودَعٍ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا نَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُتْنَا فَأَلْقِيَامَةُ نَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَ رَبِّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ النُّيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِنَعْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِنَعْرِكَ نَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا حِمْلَةَ مَضْرَعٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرَهُ مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتٍ مِنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشْتَ مَقْعُولُ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُفْخِلْ رَعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرْعِيتَ مَسْئُولُ
إِنِّي لَهِيَ مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَنُوقُلُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أَعْدَّ لَنَا وَكُنَّا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَبَبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
كُلُّ مَا بَدَا لَكَ فَالْأَكْالَ قَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكَاسِرَةِ لِأَلِ الْحُرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلُ الْخَوَرِ تَقِ وَالسَّيِّدِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
تَزَلُّوا بِأَنْقِرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَا هُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَقَادِ
٢٦ وَمِنْ رَفِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
 تَتَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ الْإِسْكَالِي
 قَالِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتِبَارُ
 كَأَنِّي بِالْبَلِيَّةِ أَرْجَعُنِي
 وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْتَنِي سَرِيعًا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَحَيَاةُ الْمَرْءِ تَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ
 حَلَقَةٌ فِيهَا ارْتِفَاعُ وَأُنْحَادُ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيَانِهَا
 إِذْ هَوَى فِي هَوَاةٍ مِنْهَا فَنَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بِهِمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 تُخَوِّصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا يَغْيَرُ وَفَاقِي
 تَحْجِي وَتَمْضِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ
 وَتَفْتَنِي جَمِيعًا وَتُحَرِّكُ بَاقِي
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ
 حَمَلَتْ نَفْسُكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ
 إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَٰذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالتَّقَى
وَيَعْقِبُهَا الْأَخْزَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ
٢٨ قَالَ الْبُسْتِي :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْأَشِيبُ بِفَوْدِهِ وَأَلْقَيْتُهُ عَنْ عَيْهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَذْلُكَ أَنْ أَضَلَّتْ رَشْدُكَ خَاطِئًا وَلَيْلُ الشَّبَابِ الْوَحْفُ دَاجٍ فَعُذِرُ
فَهْلَ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرُ إِذَا زَغَتْ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلُكَ مُثْمِرُ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيَّانَ كَسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبُلْبَانِ أَتَيْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيَّانِ
هَٰذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَّسَاكِرُ وَالْإِنَا وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَوْشُرَوَانِ
كَتَبَ الْكَلْبِيُّ فِي ذَرَاهَا أَسْطَرًا بِيَدِ الْيَلِيِّ وَأَنَا مِلِ الْجِدْثَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَرْكَانِ

ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ وَالْعَوَاقِبَ

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَار :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَدَادَتْهَا فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُخْتَمَرُ
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْمَذْسُومُ إِذَا مَا افْتَحَرَ
فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى شَخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَرَى
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرُ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِيرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُوزَا أَمَا لَكَ فِيهَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تَرْوَحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُنْحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
 ٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرَرِيِّ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تَعْدُ لَنَا سَرِيعةَ الْمَرِّ تَطْوِينَا وَنَطْوِيهَا
 كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَى بَعْدَ عِزِّهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَبَّكِيهَا
 وَلِخُتُوفِ تَرْبِي كُلِّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحَسَابِ بَرَى الْأَزْوَاحَ بَارِيهَا
 لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُنْحَى وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
 أَمْوَالُنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمُهَا وَدُورُنَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ نَبِيهَا
 ٣١ وَلِأَيِّ الْمَتَاهِيَةِ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطُّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُبُوحُ
 لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَدْنُو وَرُوحُ
 هَلْ لِمَطْلُوبٍ يَذْئِبُ تَوْبَةً مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبَتِهِ قُضُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحٍ مِنْهُ بِرَجِيلِ صَانِعِ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضِ عَلَى قَوْمٍ قُتُوحُ
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 يَنْ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَإِذَا مَوْتُ يَفْدُو وَيَرْوُحُ
لَبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
رَحْنٌ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ رَ لَهُ يَوْمَ نَطُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
لَتَمُوتَ وَإِنْ عَمِرْتَ مَا عَمِرَ نُوحُ

٣٢ قَالَ بِهِ الدِّينِ زُهَيْرُ:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
صَاعَ عُمْرِي فِي انْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَمِرٍ
وَمَتَى يَوْمُ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتَا مِنْ مُسْتَمِرٍّ
بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
وَمَتَى أَخْلُصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
وَلَقَدْ آتَى بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
أَتَرَى يُسْتَدْرَكُ الْقَارِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخِرُ:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْأَى وَلَوْ نَحَا لَكَ حَالِكَ
لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لَجَّةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكِ

قَالَ أَبُو الْعَتَّاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ التَّلَاحِيكَ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مِنْتَيَّ فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدِ أَخِيكَ يَا أَخِيَّ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُصْبَالِي خَانَكَ مِنْ بَعْدِ طُولِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِِلَّاكَ طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرَفًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفُرَاتِ أَلْبَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمَنَابَا لَا فَكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدِّمَاءَ عَلَى الْفَلِّ لَهُ بَاكِي
أَطْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِي

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمْتَيْنِ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنَا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحُسْنَا
أَيْنَ الْأَحْبَةِ وَالْخَيْرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كُأْسًا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمَنَاتَا

حَسْبُ الْجَمَامِ لَوَ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ أَلَا يُظَنُّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٣٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنَجِيِّ يَمُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ إِلْتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِأَسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَائِعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَفْتَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْارِيضِ الطَّيِّبُ فَمَا شَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا فِي الْمَتَاهِيَةِ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْغَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تَحِيفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعِيقَانِ :

أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَضْجَعُوا رَهْنًا قَبْرٍ بِالَّذِي عَمِلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَنَدٍ مَا دَرَوْا
 أَيُّنَ الْعَسَاكِرِ مَا دَرَدَتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيُّنَ مَا جَعَلُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَنَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ وَلَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الرُّهْدِ :

إِعْمَدِ لِنَفْسِكَ وَأَذْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغْرَنَّ فِي ذُنُوكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقِ خُتُوفِ الرَّدَى وَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَا يَخْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْدَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعْيِهَا
جَفَّتِ الْأَفْلامُ مِنْ قَبْلِ بَمَا
يَبُوبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَابِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٍ ثُمَّ مَوْتٍ نَازِلٍ
وَحِسَابٍ وَكِتَابٍ حَافِظٍ
وَصِرَاطٍ مِنْ يَزُلْ عَنْ حَدِّهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وَتَنْشُرُ لِي كِبَابًا فِيهِ طَيٌّ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيدِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
أَزَالَ اللَّهُ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَمَوَّضَتْ الْبَيْضَ مِنَ الْحَبِيبِ
وَبَدَّلَتْ التَّكَاسُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا أَصْفَرَارُ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
قَالَ الْإِنْبِيرِيُّ :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكْرَاتِ تُعَاجُ أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى اللَّهِوَاتِ
وَقَدْ زِمَ رَحْلِي وَاسْتَقَلَّتْ رِكَابِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهِ فِي التُّرْبِ مُنْفِرَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوائبه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِئْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِيَالٌ وَلَمْ يَزَعْ لِي حَقٌّ
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدْعُ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْمِلْ عَلَى طِفْهِهِ حَلَقًا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَدَتْهُمْ غَرْبًا وَمَزَقَتْهُمْ شَرْقًا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقًّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جَرَّتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي خُفْرَتِي عَاجِلًا أَلْقَى
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ :

يَا مَنْ يُؤْمِلُ أَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا جَذْلَانِ لَا يُدْهِمُ بِخُطْبِ يُحْزِنُ

أَفَرُطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْصِدْ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتِقُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ وَمِنَ الْحَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَعَلَامَ زَجْوِ أَنَّهُ لَا يُذْمَنُ

٤٠ قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَعَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَفْطَلَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تَشْتَرَى بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَمِنَةٍ
أَتَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغْدِ وَعَيْشَةِ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِثِ الْهَيْمَةِ
فِيَادِرَةٍ بَيْنَ الزَّوَالِ أَلْقَيْتَ وَجَوْهَرَةً بَيْعَتْ بِالْجَسِّ قِيمَةَ
أَفَانِ بَبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَزِمُهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ، بَعْضُ مَا فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هَوْنًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً وَكَانَتْ يَهْدَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَفَيْتَ بِهَا دُنْيَا كَمِثْرِ غُرُورِهَا تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْحَدِيقَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ اتِّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَعَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يَمُثِّلُهَا يَصِيرُ أَلْقَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُثْمِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
قَوْلِكَ تَذَرِي مَنْ تَنَاجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ تَخْنِي غَيْرِ تَحْنِيَةٍ
تَعُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُشِيبَةِ

وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلَمْ يَمْ تَصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسُّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَزْزَاقِ كَقُلِّ نَفْسُهُ وَلَمْ يَتَكْفَلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةِ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّتُهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَطِيفَةٍ
نُسِيَتْ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ نَارَةً عَلَى حَسَبِ مَا يَفْضِي الْهَوَى بِالْأَضْيَةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَذِرْ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
وَأَحْجَلْتَنِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنَّ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْتَحِي لَكَ الْعَنَانُ
لَوْ خَوَّفَتْكَ الْحُجُجُ بِطُشِّي لَشَوَقَتْ قَلْبَكَ الْجَنَانُ
أَنْتَ تُجْبِغُ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصَّلَاحُ وَهُوَ يَرِي وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسَّيْفُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ رَأَاهَا فِي النَّارِ مُسْتَجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عُيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَا شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَأَ بَرُّهُ النَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِّهِ مَكَانُ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهِيْنُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَنْلَقَ الرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْمَذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْمَذْرِيُّ :
يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْرُورٌ قَاذِرٌ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا قَمَا تَذْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَأَسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فَيَنِمَّا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْبِطٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَفْهُوهُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
قَالَ آخِرُ :

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِسُحْجَتِي وَبِهَائِي
يُبْلِي الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينَهَا وَيَطُولُ مَنِي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعَدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
وَرَى وَجْهَهُ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهَُا بَدُرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءُ
٤٣ قَالَ أَبُو جَنْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَفِيًا بِهِ تَعَالَى :

يَا مَنْ يَبِيتُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْثَفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ أَنْبَسَطُوا
وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْظَلَمَ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ أُرْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَغْبٍ يَقِيدُ الْجُودَ يَرْتَبِطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفْتَ
وَعَالِمًا بِحَقِّياتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ قَفِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمُدَّ الْكَفَّ أَجْمَلُهُ
يَا وَاسِعَاصِقَ خَطْوِ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا يَدَ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضْنِكَ الْغَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي غَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
قَدَحَ الصَّبَا يَأْقَابُ وَالْهَمُّ عَنْ الْهَوَى
وَأَنْظُرُ إِلَى الدُّنْيَا بَيْنَ مَوْدِعٍ
وَالْحَادِثَاتِ مُوَكَّلَاتُ بِالْقَتَى
قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَرِ:

تَعَاثُ الْفَقْدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي
وَتَكَرَّعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَرَقْدُ يَامُسْكِينُ فَوْقَ فَمَارِقٍ وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَبُّ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَلَبُّ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَتَمَوَّ بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ بِرَأْسِ جَهْرًا وَتَتَنَسَّى فِي غَدٍ حَمًّا تَرَاهُ
وَتُخْلَوُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاءِهِ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودٌ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ الْمَسِيِّ لِشَوْمٍ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعُضُّ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تُوِّفِي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فُكِّبَ عَلَى قَبْرِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءِ :
يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحَمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَنَزَّلُونَ بِشِعْبِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُرْقُطَ فِي التَّرْوُدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغْفِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتُ الْمُرْقُطُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْفُحْدِمُ وَاحِدٌ وَالْحَلَادِمُ
وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَخْبَابِ مُخْتَلَسٌ لَا يَنْتَعِ الْمَوْتُ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا يَا مَنْ يَمُدُّ عَلَيْهِ الْأَلْفُظُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ

قَالَ ابْنُ الرِّفْقَاءِ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَالْمَوْتُ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرُ طِيَهُ وَالْعَمْرُ طِيَهُ
بِعَاشِكُمْ أَوْ بِأَضْحَاجِي فِي الْآثَرِ أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنْ أَعْيَاشِ رَاقٍ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمْضِرْ بِي مُتَرَجِّمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَقَاهُ الْأَصَادِقُ
٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بَأْتِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَتَى صَارُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَلُكُ عَجْزِيَا بِذَنْبِي فَأَنْبِي بِشَرِّ عِقَابِ الْمَذْنِبِينَ جَدِيدُ
وَأِنْ يَكُ عَفْوُكُمْ عَنِّي وَرَحْمَةُ فَتَمَّ نَعِيمُ زَائِدٌ وَسُرُورُ

خَفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمِنْ حَقِّ مَيِّتِ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَافِيَةً لَتَفْرِيطُهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغَمِّهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَائِقٍ وَحَسَنِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسَبُ حَسَنِي

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ الْحَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَقَاتِي جَدًّا صَنِيًّا وَلَحْدًا عَمِيْقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظَّمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْأَلْسِنِي قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ مِنْ أَوْثَقَتِهِ ذُنُوبُهُ وَعَدَا إِسْوَاءِ فِعَالِهِ مُتَخَوِّقًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَاصِفًا
مَاذَا طَوَى نَبْرُ الْأَلْسِنِي أَرْخُوا مُسْتَمْتَحًا لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْجَمْبِيرِيُّ ذُوْنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيْرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فَرْعِ ذِي يَمِنْ جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ
حَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِنْ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً دُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
بِالْحَسَفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ حَتَّى كَانَ مَعَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولٍ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
حَتَّى إِذَا ظَفَرْتُ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشَ حَتَّى طَلَبَ بِلِي وَطَنِي
وَنَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمِلُهُ دَفْعٌ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ بِالْثَمَنِ
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ قَطَرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً لِلَّهِ دَرِيٍّ مِنْ تَائُوٍ وَمُرْتَهَنٍ
قَدِصَرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمُرَاثِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنُهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا . وَقَدْ تَنَكَّرْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّكَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةُ الْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْفَضَارَةِ وَرَوْتَقَ الْحَيَاةِ وَالتَّنَسُّمِ فِي طِيبِ رَوَانِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَلِيمًا وَرُفَاتًا سَحِيحًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالُ الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَلِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَبْتَهُ لِي فُرَّةٌ عَيْنٍ فَلَمْ تُنْتَفِعْ بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَأ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْآخِرَ فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَحِمَ عَلَى مَنْ اسْتَوْدَعْتَهُ الرَّدْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسَ وَخَشَتَهُ وَأَسْرِ سَوَاءَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ لَهَ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَتْ : أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعَنِيكَ
 فِي أَحْشَائِي جَنِينًا . وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أُنْسِهِنَّ وَأَشَدَّ
 وَخَشَتِهِنَّ . وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ . فَلَمْ تَزَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتَحْوَهُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وَحَدَّثَ اللَّهُ وَعَلَّتْ
 رُكَّابَ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ .

الاحنف بن قيس والرائية

هـ . لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ : لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ تُجْنٍ فِي جَنِّ . وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ . نَسَأُلُ الَّذِي
 فَجَعَلَا يَمُوتَكَ . وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ . أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ . وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلَكَ . وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ . وَيَنْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ .
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَافِلِ شَرِيفًا . وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا . وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ .
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ . وَأَنْتَ أَهْلُ لِحْسَنِ الشَّاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ . أَمَّا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ . وَمِنْ أَحْيَاءٍ إِلَى مُدَّةٍ . وَمِنْ انْقِدَارٍ إِلَى
 غَايَةٍ . وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ . الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجْلَكَ . لَقَدْ
 عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا . وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

لِلَّهِ دَرَكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَتَّيَّبُ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ أَيَّ حَشْوٍ تُرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرِ

إِنْ كَانَ دَهْرُ فَيْكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثَانِي بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدٍ أَسَدَتَهَا وَيَدٍ كَانَتْ تَرُدُّ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)

٥١ قَالَ أَبُو جَبَالِ الْبَرَاءِ بْنُ رَبِيعٍ الْقُفَيْسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ :
أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجَزُ
ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذُؤَابَةً قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِئْتُهُمْ وَمَا أَلْكَفُ إِلَّا إِضْبَعُ ثُمَّ إِضْبَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَهْفُجٍ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَضَدَانُهُ لِمُتَمِّعٍ
٥٢ وَقَالَ أَتَمُّجُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَائِحُ
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَعَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُنُّ الْجَوَائِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا يَسْرُورُ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَانَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ التَّوَانِحُ
لَنْ حَسُنَتْ فَيْكَ الْمَرَاتِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلِ فَيْكَ الْمَدَائِحُ
٥٣ وَقَالَ مَوْلَىكَ الْمَرْمُومُ يَرْثِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَمْرُ زَعَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنَّى حَلَّتْ وَكُنْتُ جِدَّ فَرُوقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْشُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَرَكْتُ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً
 فَقَدْتُ شِمَائِلَ مِنْ لَزَائِمِكِ حُلُوةً
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنِينَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٤٥ وَقَالَ أَعْرَابِي يَزِي بَنِيهِ :

أَسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا
 فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرَا
 فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيَّيَ الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا :

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا
 كَانَ مِثْلَ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ
 سَأَلِمَ الْعَقْلَ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 حُسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَزِي وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدَا
 وَمَضَى عَلَى صَرَفِ الْخُطُوبِ حَمِيدَا

بَابِي وَأَتِي هَالِكًا أَفْرَدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ أَلْعُلُومِ فَرِيدًا
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بَيْضًا بِهِ وَغَدَتْ لَهُ بَيْضُ الضَّمَامِ سُودًا
لَمْ تُرْزَهُ لَمَّا رُزِينَا وَحْدَهُ وَإِنْ أُسْتَقِلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
لَكِنْ رُزِينَا أَلْقَاسِمَ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ
وَأَبْنِ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَاقِ مَعْمَرًا وَأَبْنِ الْمُسَيَّبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَخْشَيْنِ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَالْأَعَشَيْنِ رَوَايَةً وَكَشِيدًا
كَانَ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدَتْ وَصِيَّةٌ وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبَتْ مُفِيدًا
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَرِمَّةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مَوْدُودًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزِيَّةِ وَالِدَا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقُ فِي الْعَلَى وَالْعِلْمِ ضَمِنَ شِلْوَهُ مَلْخُودًا
يَا مَنْ يُفِيدُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلِّهًا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْنِيدًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السُّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ خُزْنِي بَعْدَهُ لِيْلِيَا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَآثِرًا أَعْيَتْ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
وَرَأَيْتُ فِيكَ مِنَ الصَّلَاحِ شِمَانِلًا وَمِنَ السَّمَّاحِ دَلَانِلًا وَشُهُودًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَدَتْ تَغْرِيدًا
لَوْلَا الْحَيَا أَتَى أَرْزُ بِيْدَعَةٍ مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاخَةِ مَأْتَمًا وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلِدِ عِيدًا
٥٦ قَالَ الشَّيْخُ دُلْ بِرَبِّي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَأْحًا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَهَذَا أَفْنَى الْبُكَاءِ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَمِيمًا
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
فَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتُ سِنَانٌ رُمِي مِنْ فِتْنَاتِي
وَكُنْتُ بَنَانٌ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقِ مَرَاتِي لَبِيدُ :

لَيْنَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْكَتَافِ دَارِ مَضْنَةٍ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَتُخَلَّفُ بَعْدَهُمْ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَقَارَقَنِي جَارٌ بَارَبَدٌ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمَ لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمَ خَطَرُهَا وَتَعْدُو بِالْأَقْعُ
كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَانِعُ
يُحَوِّرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَلِيرُ إِلَّا مُضْمَرَاتُ مِنَ التَّقَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَيْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْفُرُوزِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَضْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدُ
 أَعَادِلُ مَا يَدْرِيكَ إِلَّا تَطَيَّبَا
 أَمْجَزُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْقَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَذَرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تَوَقَّيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحٍ قَالَ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَزِيدِيهِ :

أَبَانَ يَدَيَّ عَضْبُ الذُّبَابَيْنِ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبُ سَاءَ جَانِبُ
 فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ الْغَيْثُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرُ إِلَّا وَهُوَ بِالْثَارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُعَاضِبُ
 كَمَا زَيَّنَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَى النَّوَابِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَهْبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 وَلَا تَرَكْتُني أَهْبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 لَعَمْرِي لَيْنَ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمًا
 وَلَا تَرَكْتُني أَهْبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 لَعَمْرِي لَيْنَ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمًا
 وَلَا تَرَكْتُني أَهْبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنُ صَالِحٍ
إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْقَيْثِ بَرَقَهُ
فَقَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْيِيرُ صَوْبِهِ
٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ بَرِّي
الشَّرَاءَ لِيَمَّا تَلَّهُمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمٍ :

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيهِ أَلْهَمَامُ
وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
أَيْتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
وَالْقَرَّ تَشْكُو مِنْكَ طُولَ الْحِمَامِ
كَيْمَا نُحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
غَنَى عَنِ النَّجْرِ وَصَوَّبَ أَلْهَمَامُ
وَكَانَ فِي الْأَيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَغْبُ الْمَرَامِ
يُضْرِبُهُمْ عِنْدَ أَرْتِقَاعِ الْقَتَامِ
يُفْلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
عَلَى رَيْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
مَا هَيَّجَ الشَّجْوَ دُعَاءَ الْحِمَامِ
يَا عَيْنَ جُودِي بِالْذُمُوعِ السَّجَامِ
عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصَنْدِيدِهَا
لَا تَذْخِرِي الذَّمْعَ عَلَى هَالِكِ
طَلَبَ تَرَى حُلُوفًا إِذْ صُمِنَتْ
أَغْلَقَتْ الْخَبَرَاتُ أَبْوَابَهَا
وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجَى
إِرْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكِ
كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَتَمْسِ الصُّحَى
وَسَائِلُ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ
قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلَّمَا
وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْذُ
لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَدُهُ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا بَرِّيهِ :

يَا خُفْرَةَ صَمْتٍ مَحَاسِنَ مَالِكٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُرْعَضِ خَدَهُ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةُ مُعَلَّمًا مُتَكَبِّرًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشَّرَاةُ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكٍ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرَمُوا مَعْدًا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعَبَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِقَدِّهِ
لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خُرَاعَةٍ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
وَعَدَّتْ تُعَقِّرُ خَيْلُهُ وَتَقْسِمَتْ
أَفْتَحْمُدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ
قَالَ بَعْضُهُمْ بَرِّي وَالدَّهْ :

٦١ قِفْ بِالْأَطْلُولِ وَسَاهَا أَيْنَ سَاهَاهَا
وَرَدَّدِ الْأَطْرَفِ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا
وَرَوْ مِنْ جُرْعِ الْأَخْفَانِ رِيَاهَا
وَرَوْحِ الرُّوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَأَنْ يَفْتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مُخْبِرُهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

رُبُوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّبَرُّ تَرْبَتَهَا وَدَارُ أَنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَضَبَاهَا
 عَدَا عَلَى جِوَرَةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا صَرَفَ الزَّمَانَ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 بُدُورُ تِمِّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَلَهَا شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ التَّرْبِ غَشَاهَا
 فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسْفَا وَالَّذِينَ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 يَا حَبَّذَا أَرْزَمْنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ مَا كَانَ أَقْصَرَهَا غَمْرًا وَأَحْلَاهَا
 أَوْقَاتُ أَنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا دُرَكَتْ إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوْطَنُوا هَجْرًا وَاهَا لِقَلْبِ الْمَغْنَى بِمَدْكُمُ وَاهَا
 رَغِيًا لِلَّيَالِ وَصَلِ بِالْحَبِي سَلَفَتْ سَقِيًا لِأَيَّامِنَا بِالْحَنِيفِ سَقِيَاهَا
 لِفَقْدِكُمْ شَقَّ جِيبُ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ أَرْكَانُهُ وَيَكُنْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَخَرَّ مِنْ شَانِحَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعُهَا وَأَنْهَدْنِ بِأَذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 يَا ثَاوِيَا يَا أَمَلِي مِنْ فَرَى هَجَرِ كُسِيتَ مِنْ حُلِّ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 أَقَمْتَ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَاجْتَمَعَتْ ثَلَاثُهُ كُنَّ أَمَثَالًا وَأَشْبَاهَا
 ثَلَاثُهُ أَنْتَ أَسْدَاهَا وَأَغْزَرُهَا جُودًا وَأَعَذِبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْعِلْيَاءِ مَا حَوَا لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 يَا أَخْصَا وَطِئْتَ هَامَ السُّهَى شَرْفًا سَقَاكِ مِنْ دِيمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 وَيَا ضَرْيَحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَزْكَاهَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 وَمِنْ شَوَاحِجِ أَطْوَادِ الْفُسُوءَةِ أَرْ سَاهَا وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
 فَاسْتَحَبَّ عَلَى أَمَلِكِ الْعُلُوِّ ذِيْلُ عَلَا فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعَالِيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى عُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِي:

أَفَكَّرُ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بِدَكَ غَايَةُ الْجُمَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَفْتَدَيْتَكَ سَرَائِنَا بِفَنَائِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بِأَسْ أَقْبَلْتَ صَرَعًا تَكْدُسُ بِالنَّفَا السَّالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَسْمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّائِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَأَلْيَضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا أَلْنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْهَاهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْخُتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَنْجَمَنَ جَابِرُ غَايَةِ الْإِنْجَالِ
لَأَ تَسْرِبَلُ بِالْفَضَائِلِ وَأَرْتَدَى بُرْدَ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ عَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَآرَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمُرْجِي غَيْرُ حُزْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَلَكْتَ فَمَا الْوَفَاءُ بِهَالِكِ وَلَنْ يُبْلِتَ فَمَا الْوَدَادُ بِبَالِ
لَا زِلْتَ مَغْدُوقَ التَّرَى مَطْرُوقَهُ بَسْتَحَابَةِ تَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيَاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ وَلَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ تَرَى خَالِدَ بْنَ نَصْلَةَ:

أَأَمِمْ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَتَى الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَأُتُوا حَبِيرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحْدَثُ صَرْفَ أَلَمَاتٍ عَنْ أَحْبَابِي
مَا جِئْتَنِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّ مُصَابِ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَّهَ الدَّائِمِي بَلِيلٍ فَأَسْمَمَا بِخَرْقٍ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صَرْعِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى جَمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَأْمُرُونِي دَارِ غِبْطَةٍ وَلَمْ تَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدِ مَمَّا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُكَ مِنْكَ كُنْتُ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلَى فَيْكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَرَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلَى فَتَقَطَّمَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعًا
٦٥ أَتَشْدُ خَيْرُ بْنُ عَلْقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ كَثِيرٍ تَكْرُمُ وَقَلِيلَ عَابِ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ النَّصَابِ
صَمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيدٍ حِينَ يَنْطِقُ بِالْأَصَوَابِ
كَرِيمُ الْخُلُقِ لَا طَمِعُ غَيْنٌ وَلَا فَحَاشَةٌ تَرْقُ الْأَسْبَابِ
كَرِيمُ مُوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفُ إِذَا الضَّالِيلُ مَالُ بِهِ التَّصَابِي
دَلُوفُ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرُ إِلَى الْمُسْتَشِينِ ذُرَى الرِّكَابِ
٦٦ وَقَالَ الْأَبِيدُ بْنُ أَبِي رَافٍ يَرَى أَخَاهُ يُرِيدُ وَتَرَى لِسْلَمَةَ الْجَنْفِي :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا اتَّجَلَّدُ وَالصَّبْرُ
 أَمَا تَعْلِمِينَ الْخُبْرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أُنْوَابِهِ الْقَبْرِ
 فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَقْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
 فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْمَرْبِ حَقَّهُ إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي وَيَشْقَى بِهِ الْجُرُزُ
 وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفْسُ الْعَمْرِ
 ٦٧ وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لِي لَمْ أَنَّمْهُ تَقَلُّبًا كَانَ فِرَاشِي حَالٍ مِنْ ذُوْنِهِ الْجَمْرِ
 فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَمَذْبَانٍ مِنِّي فِي تَذَكُّرِهِ الْعُذْرُ
 أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا بَرِيدَ أَطْوَالِ الدَّهْرِ مَا لَّا لَّا الْفَقْرُ
 فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَقْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى فَإِنْ قَلَّ مَا لَا لَا يُودِّبُهُ الْفَقْرُ
 فَلَيْتَكَ كُنْتَ أَلْحَى فِي النَّاسِ بَاقِيَا وَكُنْتُ أَنَا أَلَيْتَ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرِ
 فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّهَابُ قَلَّ بِهَا الْقَطْرُ
 كَانَ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدُ بَغِيطَةٍ وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ السَّفَرُ
 وَلَمَّا نَعَى لِنَاعِي بَرِيدًا تَعَوَّلَتْ فِي الْأَرْضِ فَرَطُ الْحُزْنِ وَانْقَطَعَ الظُّهْرُ
 عَسَاكَرُ تَغَشَّى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنِّي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَا مَتَةِ الْخَمْرِ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدِ مُصِيبَتِي وَبَيْتِي أَخْرَانَا تَضَمَّنَهَا الصَّدْرُ
 ٦٨ قَالَتِ الْحُنْسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا صَغِيرًا :

قَدَى بِمِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ أَفْقَرَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 كَانَ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ فَيَضُ يَسِيلُ عَلَى الْحُدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَّاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَأَتْهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ
وَإِنَّ صَخْرًا لَرِيبَةٍ حِينَ يُجْلِي بَيْنَهُ الْجَارُ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفَذْ شَيْئَتُهُ لَرِيبَةٍ حِينَ يُجْلِي بَيْنَهُ الْجَارُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ يَفْعَلُ الْخَيْرَ مُعْتَمِدُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْأَبْرِدِ أَسْوَارُ
صَخْرُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَّارُ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَتَلَتْتُ نَفْسِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَغْزَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرْنِي أَخَاهُ مَا لَكَ :

أَعْيَنِي جُودِي بِالدَّمْعِ لِمَالِكٍ إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَئِيفَ الْمُرَبَّعَا
فَتَى كَانَ مِقْدَامًا إِلَى الرُّوْعِ رَكْضُهُ سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَنْسِكَ لَا تُجِبْ وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَلَوْ بِمَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَالَهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَتَدَّ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا

وَعَشْنَا بِمَجْنَرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
قُلْتَ لَهَا طَوْلُ الْأَسَاءَةِ سَاءَ نِي
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ بِرِثِي بَعْضَ مَنْ يَغِزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ زَيْتُ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا
وَمَا قَارَفْتَنِي طَوْعًا وَلِسِّنَ
قِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي
يَغِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتَ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
فَوَا أَسْفِي لِحَسَمِكَ كَيْفَ يَلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أُنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ

وَمَا عَوَدَتْنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
فَكُلُّ النَّاسِ يَنْدُرُ مَا خَلَكَ
دَهَاكَ مِنَ النِّيَّةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكَ
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ غَثُومًا هُنَاكَ
وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَعْجِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
وَحَقَّ هَوَاكَ خُتُّكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ أَمَّاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعَكَ مِنْ نَوَاكَى
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَى
فَيَا قَبْرَ الْحَلِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَى
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَى
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزِفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَى
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَدُّ الْبُكَاءِ وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كُدَا
أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَاثُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا أَنَّهُ غَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءِ
٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوْنِي هَذِهِ الْأَيَّامَاتُ لِلْعَبَايِي:

أَقَاضَ الْمَدَامِيعَ قَتْلَى كُدَا وَقَتْلَى بِكُشُوفَةٍ لَمْ تُرْمَسِ
وَقَتْلَى بَوَجٍ وَبِالْأَلْبَتِينَ يَثْرِبُ هُمْ خَيْرُ مَا أَنْتَسِ
وَبِالْزَائِبِينَ نَفُوسُ تَوْتٍ وَأُخْرَى بِنَهْرٍ أَيْ فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَاسُوا زَيْنَهُ الْحَاجِسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَبِّ الزَّمَانِ وَهُمْ لَصَمُوهَا الرِّغْمَ بِالْمَهْطَسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بِمَهْمُومٍ مَنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُيَالُ لَهُ مَعْنٌ قَامَتْ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّمًا بِضَرَارِي إِيَّيَ عَلِيكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا تَنِي لَكَ وَارِثُ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدْتَ قَرِيبَهُ لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرْسُوفِ وَإِنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحِفْرَةِ الْحَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَانَهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعَزِّ أَهْلِي كَالْهَمِّ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةَ الْجَبَّارِ
هَلَّا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْخُتَّارِ
وَتَرَكْتَ رَبِّي أَلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا عَفَتْ الْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي الْأَلَمِ صَارِ

٧٥ قَالَتْ هُنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرثِي أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْمُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَأَاهَا
قَرْمَانٍ لَا يَتَظَلَّمَانِ وَلَا يُرَامُ جَاهَاهَا
وَيَلِي عَلَى أَبَوَيَّ وَالْزَبْرَ الَّذِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُفُو لِي وَلَا فَتَى كَفَتَاهَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرْثِي أَبْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخَالِفُهَا
نَعَى النَّمَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَيْتَنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَابِيعُهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَمَا نَامِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلَانِهِ يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا
فُزِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَمَكَ الْفَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَجْرُ مَرْتَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودِيَّتُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفَّتْ حَتَّى تَصْدَعًا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ بِرَدِّي أَبَا الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

أَلْذَهْرُ أَخْبْتُ وَالْيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
فَقَصْدَتِكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُحْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَاسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيهَةَ بَغْتَةً وَفَقَدْتَهَا وَكَرِهَ فَقْدُكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْفَوَادِ إِلَى خُطَابِكَ مُكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُنْشَدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ

٧٩ وَرثاء أيضاً أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب :

لَا رَغَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيًا أَلْتَنَّبِيَّ أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِصَكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانٍ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُفْجِرَاتُهُ فِي الْمَانِي
 ٨٠ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَطْوِيِّ مِنَ الْمَرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادٍ :
 وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَيْسَ فِتْقُ الْمِسْكِ مَا تَمَجِّدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخُلْفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَخْتَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ حَمِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَالَهُ غَبْرَاءُ مَلْحُودَةٌ فِي جُوهَا زَوْرُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَأَنَّهُ شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ أَدْهَرُ فِدَّتَهُ أَغْلَوْا مُحَاظَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ قَرْعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقُسْطَلِ الْخَبَرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ بْنُ يَزِيدَ أَلِ الْإِمَامَةِ الْعَبَّادِيِّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَشَا أَقْصَرَ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْمُحَرَّمِ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَاقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنْ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دَوْلُ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذْنُهُ الْمُنُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَيِّمَتْ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَنْسَاءً قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوْلِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
لِلْأَجْلِ ذَا طَالَ مِنْهُ النَّوْحُ وَانْحَدَرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فَطِنٍ
لَهُ يَدُ وَرَدَتْ بِحَرْمِ الْهَدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْبَزْزِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمُقَرِّيُّ بِرِثِي الْكُشَايِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ
الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَاتَا فِي الطَّرِيقِ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودٌ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَعْجَةِ سَيِّدٍ
سَيِّفِيكَ مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي خَاتَ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْتَمِمْ عَتِيدُ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادَ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا أَلْخَطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَعِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتَ الْكِسَايِ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاةَ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَقَ عَيْنِي وَالْعُمُورُ هُجُودُ
هَمًّا عَالِمَانِ أَوْدِيًا وَتَحَرَّمَا وَمَا لَهَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَخْطُرُ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ يَزِيدُ الْأَصْمَعِيُّ :

أَسَيْتُ لِقَدْرِ الْأَصْمَعِيِّ لَمْ دَمَضِي حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بِشَاشَاتُ الْمَجَاسِرِ بَعْدَهُ وَوَدَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ النُّجُومُ
٨٥ قَالَ الْمُتَعَمِّدُ يَزِيدُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقَعِ الْأَسْلُ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يَرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابُ خَبَا وَقَدْهُ وَعَارِضُ غَيْثٍ أَفَلَ
شَكَتْ دَوْلَتِي فَقَدْهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلُ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَزِيدُ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِي :

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلَّى الْحُجَّى وَالْجَلَالُ
قَلْعِيُونَ بُكَاءُ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالُ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرَّمَالُ
بِكَيِّ الرِّشَادِ عَلَيْهِ دَمَا وَسَرَّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَّمَّا مَضَى وَأَخْتَلَالُ
وَكَيفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرُولٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ نَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُعَبِّدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مُعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزْيَةُ
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى
فَقَاتُ وَلَمْ أَمْلِكْ إِمْنِي عِبْرَةً
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزْيَتِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتِي فَيَسْأَلُ بَعْدَهُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّنَا
وَلَيْسَ بِمَنْ عَنكَ دَمْعٌ سَفَحْتَهُ
لَعَنُوكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَّ بِدِينِهِ
عَدَاةَ نَعَى النَّاعُونَ يَحْيَى فَاسْتَمِعُوا
فَكَادَ فَوَادِي حَسْرَةٍ يَتَصَدَّعُ
وَلَا جَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ
يَحْيَى إِلَى مَنْ لَسْتُ رِجُحُ وَنَفَزُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْعِعُ
مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَّعُوا
وَأُذْرِجُ فِي أَكْثَفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
رَعِيَّةً رَاعٍ بِهِمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُفْجَعُ
وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مَمْتَعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَرْيَ أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُنْبِيَّ :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفْرَةٌ وَلَا زِلَازَاتُ تُسْقِي الثَّيْتِ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ غَزَّيْتُ وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدْعُ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْهَرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ رَتَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ الْأُسُويُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلَمْتُ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى مِنْ وَفِهِ مُتَابِعُ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَمْلُؤُ عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرْيَ الْعَلَّامَةَ نَحْيِي الدِّينَ الْكَافِيَّ :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ نَحْيِي الدِّينِ كَافِيَّ عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرَرٍ تَرْتَهَى قَبْدِلَ ذَلِكَ الدُّرِّ بِالسَّجِ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقَرَأَ وَقَوْمٌ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عِوَجِ
يَانُورَ عِلْمِهِ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْظَفًا وَكَانَتْ النَّاسُ تُشْهِى مِنْهُ فِي سُرْجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ تَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لُجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءُ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شَذَاهَا أَطِيبَ الْأَجِ
يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكَتْ أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهْجِ
لَمْ يَلْجُؤُوا شَأْوُ عِلْمِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ أُنَى وَرَبَّتْهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِينَا وَيَهْرُونَا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِ مِنْهُ مُبْتَهِجِ

سَقِيَاهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْقُرْآنِ مُنْتَسِجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِي الْحَجَّازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْحُرَّزَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَلِ الشَّهَابِ ثُخْفَةَ الْقَوْمِ زَهَّةِ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي قَتَوَارِي مِنْ الثَّرَى بِحِجَابِ
 فَقَدَتْ بَرَّةُ آبَائِي الْمَعَانِي وَيَتَامَى جَوَامِرِ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْمُعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلُ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّو الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينِ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا خِرَابِ
 يَا شَيْهَابَاطْلُوعَهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَفْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ
 لَكَ فِيمَا أَلْفَتْ تَذَكُّرُهُ مِنْ مَا أَنْتَقَى دُرَّةُ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ
 رَوْضَةً أَنْبَتَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى تَرْبَهَا الرَّبَّابُ لِتَهْتَزَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرَّبَّابِ
 وَرَأَى كَمَرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَرْثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

شَمْلُ الْهَدَى وَالْمَلِكِ عَمَّ شَتَاؤُهُ وَاللَّهْرِ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يَرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَتَمَتَّ عَلَى الْفَضْلَاءِ ثَمَرِ يَفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقُرْمُجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُدْرِكْتَ نَارَاتُهُ
 أَغْلَالُ أَغْزَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطْوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْسُ الْعُودِ ذَمِيمَ الْهُودِ سَيِّئِ
الْظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجَمُّلَ الظَّاهِرَ وَالذَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْقَرَشَ السَّنِيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسُّلْطَنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحُظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَّارُ وَالْمُتَجَمِّعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمِلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُتَنَصِّرُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَاللَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي قَرَطٍ إِنْجَابِهِ
وَلَا فِي قَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أُنُوَابِهِ
وَالْكِبَّةُ فِي أَلْعَمَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدُّوسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ الْحَمَّةِ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحَلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُفْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضْمَفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمُتِّ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْخُفْتَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمُنْعِ . قَالَ : الْحَرِيفُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْخُفَّ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّنِيعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مُطِلَّ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مُنِعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَامُ
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مُنِعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلُّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْغِهِ عِزَّةُ الظَّهْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أَذْنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْخَطَارَ . وَاعْتَسَفَ الْعَثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْاِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَذَلَ الْمَجْهُودَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَقْهُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيدَ بِالْاَلْفَظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمُنْضِلَ
 قَبْلَ الْخَزِيرِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَتَخَطَّ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَرَّ
 اَلْتَّدَمَ عَلَى مَا نَحْتَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسِ . قَالَ : مَنْ اسْتَشَعَرَ

أَلْيَاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى
الْقِسَمِ . قَالَ مَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ قَادِرًا . وَنَظَرَ قَاعْتَبِرًا
وَوَعِظَ قَادِرًا . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْحُرْقَ
مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : تَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ
مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ .
وَأِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْخِرَاصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ .
وَأِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي
التَّخَفُّظُ . وَإِنْ آتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْخَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ
الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّهَ الْجَزَعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْعَاهُ
الْفَنَى . وَإِنْ عَصَتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَاهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَدَّ بِهِ
الضُّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَنَتْهُ الْبُطْنَةُ . فَكُلُّ تَضْيِيرٍ بِهِ ضَيْرٌ
وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أُودِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرَّتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعِكَ
وَأَخْتَصِرُ التَّوْدِيعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرُ يَتَوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلَ وَصَاتِي نَضْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةُ الْعُمُرِ أَلَّتِي خُصِّتُ فِي سَاعَةِ زُفْتٍ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا طَالَمَتَا تَشَحُّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَتَمَّ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّمَا عَوْنُ إِلَى يَهْطَلَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتُهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يَذَرِي أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَمْسِ الْهُونَا مُظْهِرًا عَفَّةً وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلْمِي مُسْتَفْهِجٌ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلَتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حِدَّتِكَ
وَحِينَمَا خِيفَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَبَثَّةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تُقِلْ أَسْلَمِي وَحَدِّي فَقَدْ تُقَاسِي الدَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
وَالْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلِتَجْعَلَ الْعَقْلَ مَحْكَمًا وَخُذْ كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْأَفَاطِهِمْ وَأَضْحَبْ أَحَايِدَ غَبٍ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصِيحَةٍ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثَرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَتَرَبُّهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ نُمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِبُّ الدَّيِّ وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا تَذْكَارُهُ يَذْكُرِي لَطَى حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مَهْمَا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوِزٌ عَلَى مُفْجِتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مُنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النِّظَمِ مَا إِنِ اخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنِ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنِ اخْفَ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالتَّكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّمَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

بَيْنَ الْغَرِيبِ إِذَا مَا اغْتَرَبَ ثَلَاثُ فَنَمْنُ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَضَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى أَلَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِمَّةُ الدَّهْرِ وَسَلَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ :
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ زَيْلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِتَجَامِعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلْمًا وَهَبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأُزِلَ بِقَلْبِهِ نُزُولُ الْمَسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فِيكَ اعْتِقَادُهُ . وَطَهَّرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَعْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودِ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِنَفْعَتِهِ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يَفَارُ لِحِمْلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّطُ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَدَّدْ بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ . فَقَدْ يَنْبَغِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيعَارًا وَكَانَ كَأَمْرِ آتٍ يَأْتِي كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ قَدْ سَبَقَكَ بِقُلٍ . فَاحْتَدِ
بِأَمْثَلَةٍ مِنْ جَرَبٍ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَأْضُونُ بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَتَمِيمِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ غَمَرِهِمْ وَزَبْدَةُ تَجَارِيهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّلْ عَلَى
عَمَلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعْبُ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاؤُهُ غَالِيَا
بِتَجَارِيهِمْ يُرَبِّحُكَ وَيَقْعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ لَهْ عَمَلٍ وَمُرُوءَةٍ
وَتَجَرُّبَةٍ فَاسْتَعْمِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَقِيحًا
لِعَمَلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَمَلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَأَنْبِذْهُ نَبْذَ النَّوَاةِ . فَالَيْسَ اِكْتِلَ أَحَدٍ يَتَّبِعُ
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَأَيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِهَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِعَامَلَةِ
الْكُفُوِ وَلَا الْكُفُوُ بِعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ عُزْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمَطَامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آحَاتِهِ . وَلَا تَحْفُ
النَّاسَ بِالْجَهْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا صَبْرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَتَمَيَّزَتْ أَحْدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَامُ بَكِيَّتِ
عَلَى سَلَامٍ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيتَ السَّارِ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَرَزَكَتَ عَارًا
وَأَخْرِصْ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضُّفَى أَسَدٌ مَعَ الْهُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمَقْعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلِكُكَ . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَايَرُهُ وَتَفَقَّدَ فِي فَلَاتِ الْأَسْنِ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمُ الْجُرْحِ وَأَجْمَلُ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْمَلُهَا نَهَايَةُ لَكَ . وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا
أَتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَاشِيهِ نَفَعَهُ إِذِ الْأَفْكَارُ تُجَابُ الْهُمُومَ . وَتَضَائِفُ
الْهُمُومَ . وَمُلَازِمَةُ الْفُطُوبِ . عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْحُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوَّ وَالْعَجَابُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لِأَنَّكَ تَنْصُرُهَا الدَّهْرَ عَالِيكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَخْزَانِ عَوْنَا عَالِيكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يُرَدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبُ الْحَزَنُ . وَلَا يَرْغَوِي بِطَوْلِ غَيْبِكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرَاظَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيتُهُ

الْغُومُ . وَمِنْ صَفَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لُبِّ
 بِصَدْرِ أَلَمٍ . وَمِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
 (وَيُشَدُّ) : تَوَقَّعَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُشَدُّ) : وَعِنْدَ التَّنَاقُصِ يَقْصُرُ
 الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 مَحْسُورٌ يَرُضِياعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْهَبُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 مُخْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَضْعِيفِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدُّهُ . فَتَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
 فَصَبَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَتَسَبَّهَ فَبَقِيَ مُخْبَلً الشَّيْءَ كَمَا قِيلَ :
 إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
 فَأُضِلَّ مَشْيَتُهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلَذَاكَ كُنُوهُ أَبَا بَرِّقَالٍ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرَكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْجُرْمَانُ . وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأُزْمِعُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ
 لِأَنْفُسِهِمْ يَقْطَعُ أَسْبَابَهُمْ . وَلَا تَزَلْ هَذَيْنِ الْيَتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَلَاخُو الْعِزِّ يَابِنُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
وَالْأَمْتَالُ تُضْرَبُ لِذِي أَلْبِّ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْقَطْنُ يُقْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (ملخص عن المقرئ)

طريقة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَرُقَابَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمُزَايَلَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رَعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ
مِنْ أَلْفَايَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَنْصُحُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمَ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْرَعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِذِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِإِسْلَامِهِمْ .
وإِخْطَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذُكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفُكَ عَلَيْهِ
وَمُسَائِلُكَ عَنْهُ وَتُثْبِتُكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لَذَلِكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَمْلَاكَ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمُوَظَّيَّةَ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقَوَاهُ . وَآثِرِ أَلْفَهُ وَأَهْلَهُ وَالَّذِينَ وَحَمَاتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 أَمْرُهُ أَلْفَهُ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبِ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَقْتَرِبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمَوْبَقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةَ لَهُ
 وَدَرَكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْعَمَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنْ اتِّوْفِيرٍ
 لِأَمْرِكَ وَأَهْمِيَّةِ سُلْطَانِكَ وَالْأَلَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبَيْنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَاتَّقِ دُعَايَهُ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَأَزِرْهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تَقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآخِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقُهُ
 أَوْلِيَايَهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُخَصِّنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَصْلِحُ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأَتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرُدَّ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلَحُ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهِنَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تَوَلَّاهُ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرُهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ أَثَمِهِمُ بِالْإِبْرَاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ . أَثَمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَعْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَنِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يُنْعِصُكَ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةً وَتَكْتَنِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 حُبِّكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . . . وَتَقَرِّدُ بِتَوْحِيدِ نَفْسِكَ تَقَرُّدَ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمَجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَأْخُذٌ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْلُكْ
 بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَفْخَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمِ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَأَعْتَرَمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ وَتَهْتَمُّ
 لَكَ مُرُوءَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَحْجِزْهُ وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَادْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ غَيْبِ كُلِّ ذِي غَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النِّمِيَّةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَاجِلِهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورُ وَالنِّمِيَّةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النِّمِيَّةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَتِمُّ لِمُطِيعِهَا أَمْرٌ . وَأَحْبَبُ أَهْلِ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعْيُنُ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءِ وَصِلِ
 الرَّحِمَ وَأَبْتَحِرْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَاتَّمَسَّ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهَا
 رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْجِدَّةَ وَالطَّيِّشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَمَلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعَمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ . وَأَسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَاؤُكَ وَكُذُوكُ
 أَيْ تَذَخُّرُ وَتَكْثِيرُ الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَأَسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ
 بِلَادِهِمْ وَالْتِفَادَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُهِلُوفِهِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمَوَوتَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
 وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَيَتْ بِهَا الْوَلَاةَ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالنِّعْمَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
 بِذَلِكَ عَلَى حِبَابَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَهُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا سَأَلْتَهُمْ مِنْ عَذْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا
 يَكُلُّ مَا أَرَدَتْ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
 وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْأَمَلِ مَا أَتَّفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَمَا لَكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَتَّهَوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَوْنَ يُورِثُ التَّفْرِيطَ وَالتَّفْرِيطَ يُورِثُ الْبَوَارَ . وَلَا تَحْفَرَنَّ ذُنُوبًا
وَلَا تُنْمَلِثَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدَاوًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَذْحًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغِيضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سَتِي
أَهْلُ عَمَلِكَ رِعِيَّتُكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَّهِمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُهُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخَبِيرَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمِ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَفَافِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَضْرِبُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقُتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحَسَنَ الْأَخْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رِعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَقَشَتِ الْعِمَارَةُ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاكُكَ وَتَوَقَّرَتْ أُمُوكَ .
وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ أَلَمَامَةِ بِإِقَاضَةِ الْهَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ بِرِضَايَا الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
فَنَافِسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُهْدِمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْبُلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ . وَإِلَّا فَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَاعْتَجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنُقِضَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرُهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَانْكَثِرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَافْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِكَ وَانْكَثِرْ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لِلْعَدِّ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُأْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيَشْغَلَكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمُضِيَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تُسْتَفِيدُ
 صَفَاءَ طَوْبَتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمَخَالِطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلَصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلَ مَوُوتَهُمْ وَأَصْلَحَ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا الْخِلَافَةَ مَسًّا . وَافْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالسَّكِينِ

وَمَنْ لَا يَتَذَرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْمُحْتَقِرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رِعِيَّتِكَ . وَمِنْهُمْ بَرِّفْ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ . وَتَتَاهَذَ ذَوِي الْبَأْسَاءِ وَأَيَاتَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُظَمَاءِ عَلَيْهِمُ وَالصَّلَاةَ لَهُمْ . لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَاتٍ وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَضْرَابِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عُمَاكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيُفْقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُفِقْ إِسْرَافًا . وَكَثُرَ مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيتَارُ مَسَكِرِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَنْغْهْ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْ تَصْغِيَ أَوْلِيَاكَ وَمُظَاهَرُونَ لَكَ . وَأَنْظُرْ عُمَاكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِحُكْمِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَاكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرِعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدَبُّرَ لَهُ . فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَنَنَّ عَلَى رِعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمُرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَتَمَّهُمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَأَكْثَرَ النَّظَرِ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ . وَلَيْكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
عَيْشِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَلِلْمِلَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامُ

(لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نِقَلْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَأَنَّا بِأَلْبَا زَارَاكَ حَبْوًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَلَّمَا مَنَحَاكَ نَفْسَ الْوَدِّ مِنْ نَفْسِهِمَا
كَأَنَّا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً جَزَعَا لِمَا تَشْكُو وَشَقَّ عَلَيْهِمَا
كَأَنَّا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنَكَ أَسْبَلَا دَمْعُهُمَا أَسْفَا عَلَى خَدَّيْهِمَا
وَقَمْنِيَا لَوْ صَادَقَا بِكَ رَاحَةً بِجَمِيعِ مَا يُخَوِّيه مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَنَسِيتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلَتَحْمَقُهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبَوَيْهِمَا
وَلَتَسْتَدَمَّنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا نَدِمَا هُمَا قَدَمًا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعْلًا صَالِحًا وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقِّهِمَا
فَلَحَظْتُ حَفِظْتُ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْتُ بِهَا فَعَسَى تَنَالُ الْقَوْزَ مِنْ رَبِّهِمَا
مِنْ شِعْرِ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ :

٩٩

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدَّ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحٌ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ فَلَا قَابِدَا إِذَا اخِفْتَ النَّدَمَ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَاصْبِرْ لَهَا بِنَجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
 الْكِرَامِ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْفَانَ آلِ الْحَقِّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ

١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعِظُ ابْنَهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلَبَّ الْحَكِيمُ
 دَمٌ لِلْخَلِيلِ بَوْدِهِ مَا خَيْرٌ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَاعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودُ النِّيَاةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَاعْلَمْ بُنَيَّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْجِي لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالْتَبَلُ مِثْلُ الدِّينِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يَلُوي الْغَرِيمُ
 وَالتَّبْعِيُّ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْأَبِيدُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْفَنَى وَيُهَانَ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ أَلْتِي وَيُكْثَرُ الْحَقُّ الْأَلِيمُ
 يَمَلَا لِذَاكَ وَيُنْتَلَى هَذَا قَائِمًا مَالِئًا

وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْخَمْرِ قِوَالَهُ كَلَالَةٌ مَا يُسِيمُ
مَا يُبْخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُورِ وَرَبِّهَا عَرَضُ رَجِيمٍ
وَدَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمٌ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون النحوي

١٠١

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزُ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الْدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ قَصِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ بَرَى هَادِيًا عِنْدَ أَعْتَبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَعِزَّةُ الْعَالَمِ مَنْ حَفِظَهُ كَعِزَّةُ الْمُتَّقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا حَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَسُخٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابَّاءَ وَغُبٌّ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدَا وَيَسْتَرْ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالْفُجْ
وَيَنْشُرْ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّمًا وَبُغْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبَرِّ وَالنَّصِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْنَا وَيُفْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَاتَا
يُسْرَ إِنْ أَتَصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصْنَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدْنَا

مَنْ تَتَلَسَّى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَاتَ عَنْهُ أَلُولِيَّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّأْنَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَدْعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِذَاظِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْلَادِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ إِلَّا مَوْتُهُ وَيَنْبُلُ عِزُّ الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَفْجٍ مِنْ أَخٍ خُلَّةٍ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يُخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عَثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَنْقُلُ

خُذْ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّئِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَلَّى الْأُمُورَ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَتْ بِهِ أَبَدًا يَفْعَلُهُ زِدَّتْهُ فِي غَمِّهِ شَطَطًا
أَلْفَوْ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِنُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَرَهَانًا

تَبَتُّ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكَّرِ
فَبِجْ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِی وَتَرْجِعَ لِتَتَبَّتْ دُونَ عُدْرِ

نخبة من حکم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعَلَى عَفْوًا بِالْأَتَبِ هَيَّاتِ نَيْلُ الْعَلَى عَفْوًا بِالْأَتَبِ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعَلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

أَلْحَرْ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقُ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْتَفَعَ بِنَصَائِحِي وَأَجْلُ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَاللَّقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَالِيكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَقْتِي إِنْ عُدْتَ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْهَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَقَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنَ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيُّ عَالَمٌ يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِلْقَى عَيْشُ رَحَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بَأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَنْدُمُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَمُرَّ الْعُتْبِ تَمْرِيحًا
إِذَا قَطَمْتَ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمْتَ فَاجْعَلْ لَهُ يَاعْقِيدَ الْفَضْلِ تَدْرِجًا
وَلَا تُعْنِفْ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عِوَجٍ فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَوْجِيحًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَافٌ غَاصِبٌ
إِذَا نَامَتْ الْأَنْجَانُ بِتِّ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْتَنَيْتَ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْهَامُ وَالْتَّمَوَى هِيَ الْبَاسُ وَالْحَيَى

وَالْمَرْءُ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالِهِ بُدٌ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَلْخِيَارُ لَهُ ضِدُّهُ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِخْ قُرْنَاءَ السُّوءِ عَشْرَتُهُ
كَمْ مِنْ وُجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْ لَا خَصَائِصُهُ
فَأَحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قُصَارَاهُ مِنْ إِنَائِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مَحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهُ

نخبة من اراجيز الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
حَبْرَتُهُ يَنْطِقُ تَحْيِيرًا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنْ وَالطَّوْلِ إِلَهِ الْخَلْقِ
مُفَصَّلُ مُنْتَظَمِ الْأَبْوَابِ
لَمْ آلْ فِيهِ التَّلُغُ وَالْتِسِيرَا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلُّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُتَّحِبٍ يُؤْتَى عَنْ أَهْلِ الْحِجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمَلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى تَحْمُودٍ مَا أَنْشَاهُ
وَيُنْجِيهِمُ الْمَغْلُ الْمَغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا فَنَحْرِدَا
وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لَكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَشْضِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجَرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنُ لَصْرِفِ الدَّهْرِ وَالتَّجَارِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَّجَارِبِ
كَهَذَاكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُجَلِّبُ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
قَرِيبًا أَخْلَقَكَ الطَّرِيدُ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيدُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْدَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّغْزِيرِ
وَطَائِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِيقِ بِنَاءِ
وَأَتَهَزِ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ قَرِيبًا طَلَبْتَهَا فَفَرَّتْ
وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عِلٍّ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ قُوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْظِهِ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَعْظُ يَوْمًا بِقَوْلٍ صَاحِبِ
رُبِّ رَحَا دَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا تَلَحُّنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكِّبَهَا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَدَمْ الْحَبَالُ وَالنَّسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْأَرْءِ بِلَا أَنْيسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
 تَأْصِغُ أَخَاكَ فِي الْمِلَمَاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَظِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعِشَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلْصَقْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَهِدُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَمِيَ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعُذِّ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقُ يُفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُغَيِّبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ التَّدَامَةَ
 اسْتَبْدَلِ الْخِيفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطُمُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرْخِ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 اسْرَافُ ذِي الْإِطْلَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ اسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ عَشْرَ إِنْ لَمْ يَسْسُهُ الرَّأْيُ وَالتَّذْيِيرُ
 لَا تُطْلِقَنَّ الْقَوْلَ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنَّ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الْضُرَرُ

فَأَقُولُ مَا أَرْسَلْتُهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٍ بِهِ الْعِتَادُ وَالزَّلَّالُ
يَا رَبُّ تَخَوُّرٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَفْظَةٍ زَائِعَةٍ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَّنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلَقَنَّ فِي تَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَاَعْلَمُ مِنْ أَعَدِّ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمٌ مَغْقَلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْتَلًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ مُخْتَلَفِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَلَامًا يَسْلُو الْبُهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَتَعَصَّمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحُبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثٍ
إِذَا آتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوَّلَى مَا أَقْسَمْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا تَزَلَا لَا يَلِثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمُنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقٍ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أَسْتَرْ بِهِ حَالَاتِكَ الدَّيْمِيَّةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الثَّرَوْنَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْظَعُ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمُهَاجِرِ
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالْصِّدْقِ لَمْ يُصَدِّقْ
 مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانًا مِنْ شَأْنِهِ
 وَلَكِنَّهُ الْمُنْطِقُ بِالْصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
 لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ لَا تَسْتَعِنَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبٍ

الكلام

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفُسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَنْحَكُ الْإِعْزَازَ وَالْكَرَامَةَ
 أَزِنُ حِلْيَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَشْجِعُ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
 فَأَرْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَحْكُمُ الْقَضَائِلَا حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا آجِلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ قَرْضٌ عَلَيْهِ النَّفْسُ فِي الْأَفْعَالِ
 فَكُلُّ مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنَ الْبَشْرِ فِي الْإِقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا مِنْ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يُهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ أَلْهَمٌ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب
 صرمت حبالك بعد وصلك زينب (*) والدَّهْرُ فِيهِ تَصْرُمُ وَتَقَابُ

وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَا عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلُ فَأَعْلَمَ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ أَنْ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدَيْعَةُ أُودِعَتْهَا
وَعُرُودُ ذُنَيْكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَسْمَعُ هُدَيْتَ نَصَائِحًا أَوْلَاكُمَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَأَتَعِظُ بِمَقَالِهِ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرُ الْخَوْنَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرُ مَكَانَهُ
وَيُبْشَى بِالترَّجِبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَأَقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرَسَنَّ فَالْخِرَاصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

وَأَزْهَدُ فَعُمُرِكَ مَرٍّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
وَأَتَى الشَّيْبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمُهْرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَامُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسَنَا بِهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِمَّ تَلَبُّ
سَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
بُرْ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ تَحْجَرُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوذِعِيُّ الْأَذْرَبُ
مَا زَالَ قِدَمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدَّبُ
مَضْضُ يَذِلُّ لَهُ الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ
قَرَّاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَقَدْ كُتِبَ ثَوْبُ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيَتَعَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَمَلِكٌ تَعْوَى اللَّهَ فَالْزَمَهَا تَفَرُّ
وَأَعْمَلُ بَطَاعَتِهِ تَنَلُ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَرْعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَانِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مَوْلَاةَ الدَّيْنِ لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقِكَ وَأَصْطَفَاهُ تَفَاخُرًا
وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظُ لِسَانِكَ وَأَخْتَرُ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ أَلْكَالَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَانْكُتْمُهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْأَلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدَّهَا

رَعْدًا وَيُخْرِمُ كَيْسٌ وَيُحِبُّ
إِنَّ التَّقَى هُوَ الْبُعَى الْأَهْبُ
إِنَّ الْمَطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِبُ
بِتَذَلُّ وَاسْخَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكُرْبَةُ الْأَضَعُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضَعُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلُّ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُعَيَّبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَطْبُ
تُرْنَارَةٌ فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَاكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَضَعُ
شِبْهُ الرُّجَا جَعَلَتْ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمًا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبَلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسْمِعْ الْفَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قُلْتَ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
فَأَصْغِرْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةً أَوْ لَا كَهَا
فَاللَّيْتُ يَبْدُو نَابُهُ إِذَا يَغْضَبُ
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُنْجَبُ
حُلُوُّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَقْلَبُ
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الثَّعْلَبُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
وَخَشِيتُ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرَضًا شَرْقًا وَالْمَغْرِبُ
فَالْتَصُّعُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْظَمُ الدَّرَبِ لَهَا هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَالُهَا لَذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّائِحَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردي

١١٠

إِعْتَرَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْعَزَلْ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَتْرُكْ الْعَادَةَ لَا تَخْفَلْ بِهَا
وَأَفْتِكْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجِرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهُ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلًا
وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلْ
فَلَا يَأْمُ الصَّبَا نَجْمٌ أَقْلُ
تُسْ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلْ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَحْدُ أَمْرًا جَلَلْ
كَيْفَ يَسْمَعِي فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلْ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ

كُتِبَ أَمُوتْ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيْنَ تَمُوتُ وَكُنْمانُ وَمَنْ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيْنَ أَرْبَابُ الْحَجَّى أَهْلُ النُّهَى
سَيَعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ نَبِيٍّ اسْمَعِ وَصَايَا جَمَعَتْ
أُطْلِبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
وَاحْتَفِلْ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجِرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى
جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالْعَوَى فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُتْوَانُ عَلَى الْقَضَلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُعْنِي كِسْرَةُ
إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جُحُولَ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا
كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَلْ فِيهَا الْمُنَى

قَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَقْنَى مِنْ دُولٍ
مَلَأَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُنْجِ الْكُلَّ
أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
وَسَيَجْزِي فَأَعْلَا مَا قَدْ فَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْعِلَلِ
أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يُخَفِّرُ مَا بَذَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرِمُ الْأَعْرَابَ بِاللُّطْفِ اخْتَبَلَ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبِغِ الْتَمَلِ
أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلَ
وَعَنِ الْبَجْرِ أَجْتَرَاهُ بِالْوَشَلِ
تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلِ
وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا يِعْلَلِ
وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرَكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلِ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ أَلْفَتِي مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي وَتُحْسِنُ السَّبْكَ قَدْ يُنْقَى الزَّغَلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبُتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقْلُ
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَتُجَلٍّ رُتَبَةٌ وَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَحْذِ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلُ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
قَصِّرِ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَفْرُ فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غَبٌّ وَزُرْ غِبًّا تَرِدْ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَضُرُّ الْقُضْلَ إِفْقَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
خُذْ بِصَلِّ السِّيفِ وَاتْرِكْ غِمْدَهُ وَاعْتَرِ فَضْلَ أَلْفَتِي دُونَ الْحُلَلِ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ فَاعْتَرِبْ تَلَقُّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
فِيكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنَا وَسَرَى الْبَذَرُ بِهِ الْبَذَرُ أَكْتَمَلُ

نونية الى الفتح البستي

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرَبْحُهُ غَيْرَ نَحْصِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَلِكُلِّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِرًا لِحَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
رُزْعَ الْقَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمَثَالًا أَفْصَلَهَا
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحُدُومَتِهِ
أَقِيلَ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضْلَهَا
وَكَنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا الَّذِي أَمَلَ
وَأَشَدُّ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدِ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالُ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْتَلِمَ مِنْ غَوَايِلِهِمْ
مَنْ كَانَ لِلْعَمَلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِرُطْبِ الْجَهْلِ تَحْوِي
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَخْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ

فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَهْدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِحَرَابِ الدَّهْرِ عُمُرَانُ
أَنْسَيْتَ أَنَّ سُورَةَ الْمَالِ أَخْرَانُ
فَصَفَّوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْمَ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمِنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَيْرَانُ
عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
نَدَامَةً وَلِخَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقَ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرْمَةَ
 وَرَافِقَ الرِّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُكْ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْسَاكُ وَمَقْدَرُهُ
 فَالْرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغْمَةِ
 صُنْ حَرِّ وَجْهِكَ لَا تَهْنِكَ غِلَالَتُهُ
 دَعِ الْكَاسَلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ نَعْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَآلَتُهُ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذِلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لَوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِعُطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلْيَتَدَابَّرِ فَرْسَانُ إِذَا رَكَضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَيْصِهِ مِنْهُمْ صَلِّ وَتُغْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُثْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَذَمُ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حَرٍّ لِحَرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَتُهُ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتُهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلُ فِي ثَرَاءِ أُمَالٍ سَخْبَانُ
 فَارْعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَاثُ لَسْتَ تُخَصِّصِينَ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يُخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلِيَانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فَرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَوَيْزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجِّ بُحْرَانُ

كُنِّي مِنَ الْعِشْرِ مَا قَدَسْدٌ مِنْ عَوَزٍ قَصِيهِ لِلْحَرِّ قُنْيَانُ وَغُنْيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْحَرْصِ إِنْ أَثَرَى فَنَقَضْبَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّمُهُ فَأَطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ الْفَقْرِ عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
هُمَا رَضِيْعَا لِبَابِ حِكْمَةٍ وَتَقَى وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالُ وَطَفْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ وَرَأَاهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرِحَا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الْدَّهْرِ يَقْظَانُ
مَا اسْتَمَرَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبْشِرْ وَأَنْتَ بَغَيْرِ الْمَاءِ رَيَّانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجِّ وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَمَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا مِنْ كَأْبِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَغْتَرِزْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاعَيْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ بُنْلِي عَذَرَ صَاحِبِهَا مَا عَذَرَ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَسْرِ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاقَةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ مُهْدِيَةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيْبَانَ تَيَّابَانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعُ صَانِعُهَا أَنْ لَمْ يَصْنَعْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَّانُ

أَلْبَابُ الْخَالِيسِ فِي الْأَمْثَالِ

امثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * أَلْصَمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَأَعْلَهُ * عَيَّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عَيٍّ نَاطِقٌ * أَلْصَمْتُ يَكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْثَرُونَ
الْهَيْبَةَ أَلْصَمُوتُ * أَلْصَمْتُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ الدَّمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخِبَ فِي الْإِنَاءِ وَشُخِبَ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْكَشَافُ الْأَمْرِ بَعْدَ اكْتِسَامِهِ) * حَصَّصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَّحَ الْخَضُّ عَنِ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرَحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْآدِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَرَ
الْعُمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفُكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمَنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْيَمِينِ ٧ * هُنْتُتَ وَلَا تَتَكَدَّرُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَتْ

(*) اعلم ان ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالامثال فقصناه عنها لاتمام السياق

- ١ شُبّه بالخالب الجاهل الذي يجلب شُخْباً في إِنْاءٍ وشُخْباً في الأرض
- ٢ أصله أَنْ يُطْلَطَ الوَبْرُ بالصوف . والمطراق العود الذي يُضْرَبُ بِهِ بين ما حُلِطَ
- ٣ أي أخرجوا فرختها . يُرِيدُونَ أَظْهَرُوا سِرَّهُمْ
- ٤ أي جعلك الله كذلك
- ٥ أي أقصاه
- ٦ أي نعم باللك
- ٧ يُرِيدُ بِالرِّفَاءِ الْكَثْرَةَ (كذا
- ٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر في الاصل) . يُقَالُ رِفْأَتُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثْرَةِ

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالنَّشْرِ) * حَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * أَخَ مَيْسَتُهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * نَحَدَ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَاؤُهُ * انْتَلَمَ رُكْنُهُ وَأَنْهَارَ جُرْفُهُ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْفُهُ * غَارَ مَاؤُهُ وَسَقَطَ
بَهَاؤُهُ * قَرَعَ فَنَآؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمَعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَخْفَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْإِنَائِي ٢ * الْعَصِيَّةِ وَالْأَفِيكَةِ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَغَ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحَلَالَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الذَّبُّ يَأْدُو لِلْفَرْالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبَرِّزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكُورُ
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمْرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكُورَاتِ إِلَّا أَوْغِيَابُ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْعَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الدَّيْكَرُ) * مَا يُنْجَرُ فَلَانٌ فِي
أَلَمِكُمْ ١٠ * مَا يَوْمُ حَاطَةِ بَسَرٍ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبَاقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن قاتله الله وأخراه الله . ومنه قول امرئ القيس : ما لذلَّعد من نفره ٢ يريد قطعة من الحل يجعل إلى جنبها للثتان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه باليهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكنه بها ٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج إلى البصرة فأبى عليه : فما زال يقتل في الذرية والمارب حتى أجابت ٦ يريدون المتأخرة . وقال آخر :

إذا أراد أمركم مكرًا جنى عِلَّالًا وظلَّ يضرب أخماسًا لأسداسٍ
٧ أي يبتله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس القارح الحُمْرُ
١٠ أَلَمِكُمْ الخوالب يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء فضرِبَتْ مثلاً

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ. وَمِثْلُهُ: وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصَّبُغُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْغَرِيزُ يَعْرِضُ بِهِ
 الدَّلِيلُ) * إِنَّ الْبَغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لَأَحْرَبُ وَاْدِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَرٌّ * مَنْ قَلَّ ذَلٌّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَيُّ كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فَلَانٌ أَلْوَى بَعِيدُ الْمُسْتَمَرِّ * مَا
 بَلَّتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٌ ٤ * مَا يَقَعُّ لِي بِالسَّنَانِ * مَا يُصْطَلَى بِنَارِدٍ *
 مَا تُثَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ الْخَوِيرُ) * إِنَّهُ لِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لِعِصٌّ ٥ * أَنَا جَذِيلُهُ الْمُحَكِّكُ وَعُذِيْقُهُ الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ: إِنَّهُ
 لِحِذْلٌ حِكَالِي * عَنِتُّهُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلَامِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُثَرِّعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِيٌّ ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدَمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُشَبَّهَةٌ وَتَظْهَرُ مُذَبَّرَةٌ . وَلَا يَعْرِفُهَا مُشَبَّهَةٌ إِلَّا الْعَالِمُ الْخَوِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمُجَرَّبُ) * إِنَّهُ أَشْرَابُ

١ ألبغاث صفار الطير تستنسر نصير نورا ٢ يريدون عوف بن نعيم الشيباني وكان
 منيعاً ٣ مارد حصن بدومة والاباق حصن السموئل ٤ وأصله السهم المكسور الفوق
 الساقط النصل . يقول : فهذا ليس كذلك ٥ القاب الذكي والمض العالم الخویر
 ٦ قال الأصمعي : الحذيل تصغير الحذل . وهو عودٌ يُنصب للابل الجرباء لتحك به من
 الجرب فأراد أن رأيه يشفي . والعذيق تصغير عذقي . والعذق بالفتح الخلة نفسها . فإذا مالت
 الخلة الكريمة شوامن جانبها المائل بناءً مرتفعاً يدعها لكي لا تسقط فذلك الترجيب . وصغرهما للمدح
 ٧ والعينة شيءٌ يُعالج به الإبل إذا جربت ٨ وأول من فرعت له العصا
 سعد بن مالك الكناني . ثم فرعت لعامر بن الظرب العدواني . وكان حكمٌ في الجاهلية فكبر
 حتى أنكروا عقله . فقال لبنيه : إذا أنا زغت فقوموني . وكان إذا زاغ فرعت له العصا فيتزع
 عن ذلك ٩ وهو الذي يُصيب بالظن

بِأَنْفَعِ ١ * إِنَّهُ حَزَّاجٌ وَلَا ج * حَلَبُ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُتَجِدُّ ٣ * أَوَّلُ لُغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِسَلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌ بِعُودٍ أَوْ دَع * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : أَشَارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا يُنْقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتُ كُرَاعًا فَصِرْتَ
 ذِرَاعًا * كُنْتُ عِزْرًا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتُ بُغَاثًا فَاسْتَسَرَّتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * أَلْقَرَنِي فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةً *
 ذِينَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ قَوْدُ * (أَشْبَهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْهَصِيَّةٌ مِنَ الْهَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلَ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ الْقَبْلَ . وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ ٤ * قَالَ زَهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنِتُ الْخَطِيئُ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا التَّخْلُ
 وَمَنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذِئْبًا * حَدَّوْ التَّغْلَ بِالْتَّغْلِ
 وَحَدَّوْ الْقَذَّةَ بِالْقَذَّةِ ٥ * (الْحِلْمُ) * إِذَا تَرَا أَلْشَّرُ فَأَقْعُدْ ٦ * وَمَنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَتَّصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود الخير والشر ٢ أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الجرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناجذ . وإذا استحك ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقذة الريشة من ريش السهم تحذى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع إليه

الرَّيْحُ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبُّمَا أَسْمَعَ فَأَذَرُ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي
عَبْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَعْلَبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
إِلَّا حَظِيَّةً وَلَا آلِيَّةً ٢ * سَوْءُ الْأَسْتِمْسَالِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصِّرَعَةِ *
وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفَرُ عَنْهُمْ *
وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرُّ أَرَأَى النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
الْعَلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُغِيضُهُ *
(الْأَسْتِعْدَادُ الْأَمْرُ قَبْلُ نَزْوِهِ) * قَبْلَ الرَّقِيِّ يُرَاشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
الرَّمَايَةِ تَلَا الْكَنَانُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِي *
الْمُحَاجَزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * أَلْتَقَدَّمُ قَبْلَ النُّزُولِ * يَاعَاقِدُ أَذْكَرَ حَلَا *
خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ الْدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
الْعَرَاقِبِ * (حُسْنُ التَّذْيِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّفْقُ يَمُنُّ
وَالْخُرْقُ سُوءٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتٍ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
لِبَطْنٍ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا * (الْأَمْرُ
السَّيِّدُ الْمَغْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحُولُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَتُرِيهِ
النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ . وَطَارَتْ

٢ معناه إن لم يكن خطوة فلا
٣ أي باستقباله قبل أن يدير

١ يقول : إذا لم تعلب فدار والطف
نقصير . وألا يأتو ويأتلي وهو التقصير

بِهِمْ عِقَابٌ مَّالِعٌ ١ * وَالْمَنَابِتُ عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدَّهْمُ تَزِي
 الرُّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلَيْدُهُ ٤ * اِلْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرَّبِّيَّ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيدِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظَمَ * (الْيَاسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِحُفَيَّ حَيْنٍ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيْنَةِ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ
 خَلْفًا ٧ * (أَلْظَمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَاةً وَوَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتُرُ * عَادَ الرَّقْمِيُّ عَلَى الزَّرْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحٍ مِنْ مَدْيَةٍ * رُمِيَ بِحَجَرِهِ وَقِيلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هَلَعٌ وَلَا
 هَيَأَنَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يقال ذلك في الواحد والجمع . وأحسبها معدولة عن ملبع ٢ قال أبو عبيد : الحوايا في
 هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحدتها حوثة . وأحسب أصلها إن قوماً قتلوا فحلبوا
 على الحوايا فصارت متلاً ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معناه أن الأمر اشتد حتى
 ذهبت المرأة أن تدعو وليدها • أي من لي باليمن بعد الشؤم
 ٦ قال الشاعر :

وما زلت أقطعُ عرض البلاد من المشرقين إلى المغربين
 وأدركُ الخوف تحت الدجى وأستصعبُ السر والفرقدين
 وأطوي وأنشرُ ثوب الصوم إلى أن رجعتُ بحُفَيَّ حَيْنٍ

٧ أي اطل السكوت وتكلم بالقبج . وهذا المثال يقع في باب الي وله ههنا وجه أيضاً
 ٨ والمعارة البير تُغفر للذئاب ويجعل فيها جدي يسقط الذئب فيها ليصيده فُصطاد
 ٩ وهم الرماة يرجع عليهم رميم ١٠ معناه لا شيء له

١ وهما الحدي والعناق ١٢ معناه ليس له أحد يهرب منه ولا أحد يقرب إليه فليس له

١٣ وهما الضائفة والمعازة

تتبع

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْدارِ دُعْوِيٌّ وَلَا يَها دُعِيٌّ ٣ * وَمَا يَها مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا يَها دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا يَها وَارِثٌ وَمَا يَها صَافِرٌ . وَمَا يَها دَيَّارٌ وَمَا
 يَها نَافِخٌ ضَرْمَةٌ . وَمَا يَها إِرْمٌ ٤ * (إِسْتِجْهَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوْنُ اللَّوَّ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرَةٍ .
 وَلَا قَبِيلًا مِنْ دَبِيرَةٍ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرَفِيهِ أَطْوَلَ وَأَكْثَرَ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرَهُ مِمَّنْ يَهْرُهُ * وَأَيُّ طَرَفِيهِ أَطْوَلَ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه آياتُ ذهبت مذهب الامثال وأكثرها للمتنبى وللمحريري

إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا اعْتَادَ أَنْتَى خَوْضَ الْمَنَآيَا فَاهُونُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْخُطَابِ السَّعْ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَكَ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمُنْزِلِ الْحَشِينُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحريك الوتر والحبض صوته وقال:

والنبض جوي نبضاً وحبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جامن يدعو ومن

يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات

والإيجاب وإنما يقولونها في النبي والمجد • والقبيل ما أُنْشِئَتْ بِهِ مِنْ

قَبْلُ الْحَبْلِ وَالِدَبِيرُ مَا أُدْبِرَتْ بِهِ مِنْهُ

إِنَّ الزَّرَارِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِغْ تَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قُبُولُ
 إِذَا مَا الْجَرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِيُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتَهَا
 بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِذْ رَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيثَهُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَكْرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ يَهْبِ الرِّيحُ سَاقِطَةً
 كَبْرُ بِلَا نَسْبٍ يَبْهَ بِلَا حَسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَالِئٌ يَبِضُّ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضَ بِالذِّلِّ وَاخْتَرِ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلْ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَاعُ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعُ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَقُهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ
 وَلَا بُدُّونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ الْتَحْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدَّودُ
 وَلَا سَمَاوَهُمْ تَنْهَلُ بِالْدِّيمِ
 وَيُنْكِرُ الْقَهْمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنَ الْأَحْجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنَ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمُعَالِي نَافِذًا
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمُنَايَا
مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرَهُ قَمَرُ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعُضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ
وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِهِ أَلْقَى شَرَفُهُ
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ
وَمَا الْخِدَانَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ
وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ
وَمَنْ يَجِدِ الطَّرِيقَ إِلَى الْمُعَالِي
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
وَمِنْ الْبَلَاءِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي
وَمِنْ أَعْدَاوَةِ مَا بِنَاكَ نَفْعُهُ
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَاللَّدَى
وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَدَى جُنُونُهُ
فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا
كَأَلَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ السَّمُولُ
وَرَأَيْدُ أَعْجَبَتِ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
خَلَقًا وَلَا الْبَارِي حَقَّارَةُ عُشِّهِ
فَرَشْتَ لِحْنِيهِ شَوْكُ الْإِتَادِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَاتِقِ
وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ
إِذَا لَمْ أَجْعَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتِمُّ
وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيْبُ
فَلَا يَذُرُّ الْمُطَيَّ بِلَا سَامِ
فَلَمَّا التَّيْنَا صَغَرَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
عَدَوْا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَثِيرِ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ تَبْجِدِ الشَّمْسِ ضَوْءَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقِ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعِيهِ
وَقَدْ نَبَّحَ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَمَا أُنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدُّجُوجِيَّ أَنَّهُ
وَلَا تَسْتَمِ كُلَّ خَالٍ لَّاحِ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
وَمَنْ يَلْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَغْفِرُ إِلَّا بَصَارُ صُورَتِهِ
وَكَمْ مُضْمِرٌ بِنَفْسٍ يُدْرِكُ مَحَبَّةً
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْبَجَةٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
مَعَ الذَّنْبِ كُلِّ الْخَوْ مِنْ جَاءٍ تَأْتِيَا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرَقٍ
إِذَا حَصَّاتِ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمَتَأَمِّلِ
عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَرْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظِلَامِهِ
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ مُجَاجَا
لَا تَلْغِي إِنْ لَمْ تُثْرِهَا الْأَزْدُ
وَلَيْشِبُ نَاصِيَةَ الْعَصِيِّ وَيَهْرِمُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يُنْفِي بَشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَاعَةِ الْقَدَرِ الْهَلَالُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الضَّيْرِ
وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهِيَ فِي النَّفْسِ بَارِدُ
وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرَنَّمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعِ يَكْتَابُ
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخْتَبِي الْعِدَاةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطَلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرِقْ
يَمْرُ وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَيْنِ ذَبَابُ
يَلْفَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ أَلْعَلَّمُ

نخبة من تغريد الصالح لابن حجة الحموي

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التُّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ أَلْطَفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَغْتَرِزْ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصُّفُولَا بَدَلُهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانِ
وَمُوجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلَا تُقَصِّرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ السَّامُ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا تَيَاسَنْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّائِي مَا لَمْ تَلْ بِالْحَرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقَرٌ قَرُبًا أَسَاتِ الدَّمِ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِعَ عَنْوَانَهُ مَلِجُ
فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرَّجَالِ لَا يَتَّيْنِي لِزُخْرِفِ الْمَقَالِ
مَا طَابَ فَرَعُ أَصْلِهِ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
وَالْبَغْيُ فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْعِ وَالْعَجْبُ فَأَتْرَكُهُ شَدِيدُ الْمَضَرِ
وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْغَى الْعَهْدَا

من قصيدة ابى العتاهية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجَدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَتَمَنَّى الرَّأْيُ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاوَهُ
يَارُبَّ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْثَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْثَرِهِ
مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَكُلُّ مُتَمَرِّجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ لُحْتَلَجُ
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
عَجِبْتُ حَتَّى غَمَنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٌّ مَبْهُوتُ
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْهَمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُّ الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ الثَّجَارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ خَائِلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جَبِينِهِ لِأَنَّهُ . وَرَوَائِحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَاتِحَةٌ . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهُوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَعْلَى عَيْشٍ وَمَقَامٍ . أَلْمَأُ رَأَيْتُ . وَالْهُوَاءُ
مُؤَافِقُ . وَالذِّكُّ مُفَارِقُ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقُ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسْفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتِ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتِ . وَأَثْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْأَعْرَافِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شَيْمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ . وَزَقِمَ نَشْأَ الْخُرُوفِ فِي الْوَلَّاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهُوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَاوَاتِ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمُنُ فِيهِ مِنَ الْأَنْعِمَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيَتَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَبْطُونَ الْأَنْوَارَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوَرِ .

وَرُبَّمَا مَرَّقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزَّوْرِ . فَلَمْ يَذُلُّوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُرَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَكَ رَكْبَادٌ وَأَنْبَجُ ذُو هَوَاءٍ فَسَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ بِهَا أَنْجَادَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَلَقَّى الْغَلَامُ
بِلُوحٍ مِنَ الْوُحَايَا . وَاسْتَمَرَ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَضَطَّيْمُهُ بِهَ أَثْبَاجُ
الْبَحْرِ الْهَيَاجُ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبُ نَاحِلٍ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاكَيْهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةَ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِهَ
الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَاءَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوَلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُيُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٌ تَزَعِقُ . وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَانْكَبُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْخَلْعَ السَّنِيَّةَ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلَيْهِ . يَكْنُبُوشِ ذَهَبٍ . وَسَرَجٌ مُفَرَّقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ النَّجَاحُ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابُ فِي
 الْمَوَاقِبِ نُجْرٌ لَهُ . يُتَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شُقُقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّشَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 مَجَاسِرَ النَّدِّ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالْدُّسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَذْرِ بَيْتَ سُعُودِهِ وَأَمْرَكَ فِينَا صَاعِدُ كُصُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا
 عِبْدُكَ . وَتَابِعْ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَخْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَاثِمٌ أَمْرَكَ عَلَيْنَا مَحْتُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَذْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَاهُ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصُدِّرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدىً . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يُقَدِّرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُخْدِثْ حَدًّا . أَعْبَاءً وَلَا عِبَاءً . وَجَعَلَ يَلْزِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بَابَ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمُنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنِفِتٌ إِلَى أَحْوَالِ الرِّعْيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَعَدِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ
 الْمُبَارِ . مُؤَيَّسُ قَوَاعِدِ الْمُلْكَةِ وَالسُّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَمَلِ وَالْعَدْلِ
 مِنْهَا أَمْكَنُهُ . مُتَخَصُّصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمُلْكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بِ
 الْوِطَانِ مَا يَقْتَضِي مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلَئِكَ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى شَابٍّ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ .
 مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا .
 وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَعَمِلَ بِإِلَافَتِهِ وَيُزِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُذِنِيهِ .
 وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْتَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ
 بِهِ حَبَّةَ قَلْبِهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلِيَهُ . وَسَكَنَ فِي سُودِيَّاتِهِ .
 وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَائِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ .
 وَاسْتَصَحَّحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رَفْعَتِهِ وَسُلْطَنَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّقَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْنِ
 الْمُلُوكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السُّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يُهَيِّبُهَا . وَلَا
 رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ
 ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَنَّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَ
 وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَضْطَلَحُوا عَلَى عَادَةِ تَجَرِّي .
 سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُبَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ
 الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ بِرِسَالِ اللَّهِ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ. فَيَسْتَمِيلُونَهُ كَمَا اسْتَمِيلُوكَ. وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
 طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ. مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ. وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً.
 فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ. فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ. فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَعْدُودُ. وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ. عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
 صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ. وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ. وَتَبَّتْ
 لَهُ أَوْتَادُ. وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ. حِرْوُهُ يَرْجُلُهُ مِنَ التَّخْتِ. وَسَلْبُوهُ
 تَوْبُ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ. وَأَلْبَسُوهُ تَوْبَ الدَّلَالِ وَالنِّكَالِ. وَأَوْتَقُّوهُ
 بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ. وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ. وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
 قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ. وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ يُوصِلُونَهُ إِلَى ذَلِكَ
 الْجَانِبِ. فَيُوصِلُونَهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ. وَهُوَ قَفَرٌ أَغْبَرٌ. لَيْسَ بِهِ أُنْسٌ وَلَا
 رَفِيقٌ. وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ. وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ. وَلَا نَشْوَةٌ وَلَا نَمَاءٌ.
 وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ. وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ. وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ.
 عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ. وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ. وَلَا إِلَى الْخُلَاصِ
 سَبِيلٌ. وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ. فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ قَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
 أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا. لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا. ثُمَّ
 يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ. مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ. فَيَجْرُونَ بِالْأَهْبَةِ
 الْكَامِلَةِ. إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّائِلَةِ. فَيَمِيزُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا.
 فَيَقْعَاوْنَ مَعَهُ مِثْلَ مَا قَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا. وَهَذَا أَذَاهُمْ وَدَيْنُهُمْ.
 وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ. فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْفَلَّاحُ. لِذَلِكَ

لَوَزِيرِ الْمُصْلِحِ : فَهَلْ اطَّلَعَ أَحَدٌ مِمَّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ بِكُلِّ عَرَفٍ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَانَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ اتِّحَاكُمُ وَالسُّلْطَانِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللِّذَّةِ الْخَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامَهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْأَبْلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَعِثُّ . وَلَا مُعِثُّ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْعَلَامُ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعِلِمُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَكَ هَلَاكُ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالتَّفَعِّيِّ مِنْ شَرِّكَ الْاِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنُّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَمِيمًا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُنْجِيهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلَاءَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُقْتَضِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ النَّبَاتِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالتَّجَارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَتَحَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَقَمَلَاهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَّةِ . وَلَا تَتَّقِلْ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجِيزَ الْإِهْمَالَ وَالْإِهْمَالَ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَسْحَارِ وَالْأُذْدُ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتًا مَحْدُودَةً. وَأَنْفَاسًا مَعْدُودَةً. وَسَاعَةً تُنْضِي مِنْهَا غَيْرَ مَرْدُودَةٍ.
بِمَحْتِ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطُرَحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَفَارِ. وَجَعَلْنَا
الْأَصْحَابَ. وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءَ عَنَّا وَالْأَحْبَابَ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءَ.
وَأَحْتَوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبِدَاءِ. فَتَوْنُ الدَّاءِ. مُجِدُّ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَأَخْتَارَ
مِنَ الْبَنَاتِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُمِدُّهُمْ بِالْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاتُونَ الْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرَ وَفِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارَ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوْلَهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالْأَثْرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَقَاسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ. وَصُنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ التَّعْمِ.
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزٌ لِلرَّحِيلِ. وَرَإِيضٌ
لِلنُّهْوضِ وَالنُّحُوبِ. فَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي الْمُلْكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. مِمَّنْ كَانَ يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنُصُوحِهِ.
وَمِمَّنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشِيَّتِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِحُذْيِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنَ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلَبُوهُ مَمْلَكَتَهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْحِشْمَةُ وَالْكَلِمَةُ وَالْحَرَمَةُ . وَشَدُّوا
وَنَاقَتُهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَاةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدَمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحِشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَذُقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِقَدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَاسْتَمَرَّ فِي أَمِّ سُرُورِهِ .
وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ جُبُورِهِ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي
المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفَكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحَدَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْبَيْتِ . فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَتَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عَنْدِلِيهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَائِلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَّلَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَنَمَّقَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَحَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَجَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِطَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ حُجِيبًا أَقْصَعَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْتِحَالِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ كَشَرُهُ صَاعِدُ
 قَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ أَتْفَاقِدُ الْوَاجِدُ
 وَسَكْبُ النِّعَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غُصْنُهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْآفَاقِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَفَى الرَّبِيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يُتَرَجِّمُهُ وَزَدَهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لِأَجْلِكَ مُسْتَشْطٍ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَادُ
 وَكُلُّ لِأَلَانِيَةِ ذَاكِرٍ مُقَرَّرٌ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَاوُلٌ مَا سَمِعْتُ هَمَمَةَ النَّسِيمِ . يَتَرْتَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَائْتِحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَهْنُ
 الْإِنْعِطَافِ . سَرِيعُ الْإِنْتِلَافِ . يَعْتَرِفُ بِلُطْفِي ذُووِ الْأَلْطَافِ . وَلَوْ لَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَنْظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَايَ . سَبَبُ
 إِنْغَوَايَ . بَلْ اخْتِلَافُ فِي الْأَصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَضْعَفُ أَلَكَ وَأَنْفَعُ .
 فَاهْبُتْ فِي الرَّبِيعِ شِمَالًا فَانْقَحِ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَضْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَأَعْمَبْ فِي الصَّبَفِ صَبَا فَأَنْبِي الثَّمَارَ . وَأَصْقِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُتْ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُتْ فِي الشِّتَاءِ دَبُورًا لِيَنْفِ عَنْ كُلِّ تَبْجَرَةٍ حَمَلَهَا . وَيَنْفِ وَرَقَهَا
 وَيَنْقِ أَصْلَهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُوِي الثَّمَارُ . وَتَرْهُوِي الْأَزْهَارُ .

وَتَسْلَسِلُ بِي الْأَنْهَارَ . وَتُفْقُ الْأَشْجَارَ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّجَارِ بِأَفْعَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَرْوَرُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَعْتَمُوا وَقْتِي فَأَوَقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
 فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ الْمَدَّهِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
 أَنِّي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَاءِ تَرَاخِي . وَتَجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ الْشَوْكِ مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَيْبِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْوَرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمُرَادَ . فَيَدْنَا
 أَنَا أَرْفَلُ فِي حُلَلِ النَّصَارَةِ . إِذَا اقْطَعْتَنِي أَيْدِي النَّصَارَةِ . فَاسْلَمْتَنِي
 مِنْ بَيْنِ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كَبْدِي . وَيَمِزُّ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي النَّدِي . لَا يَتَأَمُّ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جَسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاصِرًا . فَتُرِي سَوَاءَ إِنْ تَأَمَّتْ وَابْعُدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ التَّيْمُ بِسِرِّهِ .
 وَنَشَرَ السَّحَابُ عَمُودَ دُرِّهِ . وَنَضَّوَعَ الْبَهَارُ بِذُخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّيِّمُ

بِقَلَايِدِ قَهْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدَ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنْ الرُّوضِ الْأَبْيَقِ
 أَزْهَارَهُ . فَنُفِمْ بِنَا تَنْفَرُجُ . وَنَتَبَّهْجُ بِجُسْنِنَا وَتَبَّهْرُجُ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ تُخْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرَهَا تُخْتَلِسُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَاحِينَ . بئسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صَلَتْ . فَقَدْ
 تَزَلَّتْ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ مَا تَمَلَّكَ الصَّوَابَ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمَصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْمَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِوِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّزْهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُجِيبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَایَلَ غَضَبُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقُكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقُكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّنْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْخِيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجَلْبَابِ وَالنَّيَابِ .
 مُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذُبُّ . وَيُجَوِّلُ خِطَابَهُ وَيُقَلِّ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّلَامُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ تَصَحَّحْتَ وَالسَّلَامُ

اشارة النرجس

١٢١ فَأَجَابَهُ النَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمُنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْيَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلَمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْتَقُ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِعًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةُ
 مَنْ خَدَمَ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِمَهْدٍ مَنْ وَصَلَنِي نَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَاسِي . وَكَأَيِّ بَصْفَةٍ لِي كَاسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّحَيْنِ وَالْعَسْجِدِ لِبَاسِي . أَتَتَمَحُّ تَقْصِيرِي
 فَاطْرُقُ اطْرَاقَ النَّجْلِ . وَافْكُرْ فِي مَصِيرِي فَاحْدِقْ لِهَجُومِ الْأَجْلِ .
 فَاطْرَاقِي اعْتَرَفُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرٌ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قَمْتُ مِنْ ذُلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زُلِّي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْمَأْدِمِينَ غَدَا نَافِعِي عَلَيَّ وَلَا عَمَلِي
 مُفْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَأُ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَّائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِنْجَابِهِ بِشَائِلِهِ . فَمَّائِلُ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأُظْهِرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي سَمَاتِ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالِى الْبَرِّ وَقَدْ شَرَدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ اَنَقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ اَنَعَدَ .
 وَالِى الْفَضْلِ وَالْيَاسِ وَقَدْ كُنِيَ بِمَدِّ مَا اَنْجَرَدَ . وَالِى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اَتَّحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمَوْجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدِ اَنْقَرَدَ . فَلَا يَفْتَرُّ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَفْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يَشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لِكَ تَأْيَلَتْ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّاتْ بِلَابِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُرْدِي .
 ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعَطُ عَلَى الْوَرْدِ فَأَخْبِرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 رُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصَدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمُوعَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتِّلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْإِتِّلَافِ خِلَافٌ . فَنُقْطَفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَنُخْتَفَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْإِحْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَا نِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَانِ بَيْنَ غُدُونَا وَرَوَاحِنَا

إشارة البنفسج

١٢٣ فَتَنْفَسَ الْبَنْفَسُجُ تَنْفَسَ الصُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْبَعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَدًا . وَأَكْتَسِي بِالْخُلُولِ أَوْبَابًا جُدَا . أَفْتَنِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِلْدًا
وَلَا جِلْدًا . فَمَا أَنْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطُولُ مَا بَقِيتُ يَا بَسًا
مُجَرَّدًا . وَجَلَّةٌ خُصُولِي . أَتَنِي أَوْخِذُ أَيَّامُ خُصُولِي . فَاقْطَعْ مِنْ أَصُولِي .
وَأَمْنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَقَوَّى عَلَى ضَعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَأُظْفِي وَظَرْفِي . فَيَنْتَعِمُ بِي مَنْ حَضَرَ نِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مَنْ نَظَرَ نِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالْجَحْسِ سَوْمٍ . وَيُعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ النَّشَاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا أَقْبَيْتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَا بَسًا . وَمِنْ النَّصَارَةِ آئِسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَنَفْسُ فِي الْأَوْرَامِ الْقَاشِيَةِ . وَتَلَيْنِ الْأَلَامِ
الْقَاسِيَةِ . وَتَلَطَّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَالِيَةِ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَذْوَاءُ
الْعَادِيَةِ . فَالنَّاسُ مُتَعَوِّنُونَ بِبِائِسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمِنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٍ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أذْكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَزْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ أَلْبَسْتِجِ إِذْ غَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَغْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِّعَتْ أَنْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شَيْلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يُكَادُهُ الزَّهْرُ مِنْ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِزَامِ .
فِيهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْتَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَمَنِ الْبُخْسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّئَامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأُلْزِمْتُ مِنْ
بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .
أُرَاقُ الْوَحْشَ فِي الْغَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْغَدَارَ . أُحِبُّ الْحُلُوتَ .
وَأَسْتَوِطِنُ الْفُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَفَافِلِ . وَلَا تَقْطِئُنِي أَيْدِي
الْأَسَافِلِ . وَلَا أُحْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
تَجِدُنِي فِي أَرْضٍ نَجِدُ نَازِلَ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْفَسِيحِ . وَفَقِيتُ مُجَاوِرَةَ
الْغَارِ وَالشَّجِ . تَعَبُ بَشْرِي الرَّيْحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدْسِ
وَالسَّجِ . لَا يَنْشَقُّنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَصَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
وَالرَّوْحِ . فَلَا أَخْضُرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
فَأَنَا الْخُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِالنِّقَاقِ فِي
سُوقِ النِّقَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
الْعَزِيمَةِ وَسَاقَ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَاللَّسِيمِ يَهْمُ بِي فِي كُلِّ
وَادِي . أَعْطَرُ الْبَادِي . بِعَطْرِ الْبَادِي . وَأَرْوِحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَاحٍ وَغَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ فَتَنَسَّ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدُمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ يِي يَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي ثَوْبِي
 أَلْقَانِي . وَأَنَا مَذْهُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمُنَاخِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي تَحْشُوا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَايَ سَبَبًا لِلْحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُتَأَفِّقِ الَّذِي حَسُنَتْ سِيرَتُهُ . وَقُبِحَتْ سَرِيرَتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَمِيئَتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيَمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزْهَارِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدْتُهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَايَ
 مَنْ رَأَيْتُ يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَايَ
 قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا تَحْشَوُهُ بِحَشَايَ
 وَاحْيَايَ إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاتَّخَلَّجْتِي وَاحْيَايَ
 لَوْ كَشَفْتَ السُّورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَضْلُ الْخِطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

فَانْبَسَطَ وَسَاحَ فِي فَسِيحِ الرِّحَابِ . وَقَالَ : سُجَّانَ اللَّهِ أَ يُنْكِرُ فَنَظْمِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَائِثُ طَلِي وَوَبْلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بِرَأْيِي . وَالتَّجَرَ دُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُذْنِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْهَطَامُ . فَأَقْطَعَ تُذْنِي عَنْهُ
فِيضُجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي انْسِكَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورَهُ فِي بَثِّ قَطَرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

اشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنْبَغُ أَنَا مُضْعٍ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَادَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَامِلُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَفَّانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَصَلَ
الرَّيِّحِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . مُجِدُّنِي فِي الرِّيَاضِ فَرَحَانَ .
وَفِي الْغِيَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَأَنَا بِنَفْعَتِي طَرَبَانُ .
وَمِنْ نَشْوَتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
مُحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَائِثًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأَبُوحُ تَرَحُّلًا لَا فَرَحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبَلَّلتُ عَلَى بِلَالِهَا . وَلَا تَزْهَتْ إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَصْغَى لَهَا . وَلَا
خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرْتُ .
وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّتْ . قَفَرْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . وَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يَحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشِ
يَذُولُ . وَوَصَلَ عَنْ قَرِيبٍ مَفْضُولُ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْحَمِيِّ رَوْحِي وَرَبِّمَانِي فَلَا تَلْمِني إِذَا كَرَرْتُ الْحَالِي
رَوْضَ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضِ يَتَّقِ أَوْ أَصْفَرُ فَتَقِ أَوْ أَخْضَرُ رَقِيقٌ أَوْ أَحْمَرُ فَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمْلُ الْوَعْلُ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانِي

إشارة الباز

١٣٨ فَكَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مِيدَانِ الْبِرَازِ . وَنَحَكَ لَقَدْ صَغُرَ جِرْمُكَ .
وَكَبُرَ جِرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَعْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يَهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ الْإِنْسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أُخِذَتْ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسَتْ فِي ضَيْقِ الْأَفْقَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخِلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَهِدَ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَقْتَضَحَ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتُ بِسَبِيلِي . وَأَقْتَدَيْتُ بِصَبْغِي . لَبَرْتُ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقَ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصَّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْقَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَقْبَضْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجَلَبْتُ إِلَى بِلَادِ النُّزْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيَّةِ بَحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرْبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَأَمْتَحْتُ حِينَ أَمْتَحْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمُرءُ أَوْ
 يُهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُودِّي تَخْلِيطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعَقْدَةٍ : لَا تُحَرِّكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقِي
 لَا أَنَا لَمْ . وَمِمَّا لَا آتِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُئِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَصْلَحَنِي مُودِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِقْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَأَرَفَعْتَ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَامِي . وَأَكْفَهُمْ نُحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكَتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قُرْبَ مَنِي رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ وَجَعَلْتُ مَا أَبْغَاهُ نَصَبَ عِيَانِي
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مَجْرَدًا ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 حَتَّى ظَهَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُهُ بَوَظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ
 هَذَا لَعْرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ): قَيْنَمَا أَنَا مُسْتَرْقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَمِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طُوقَ الْعُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عِلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِيْنِي عَنْ ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طُوقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطُوقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمَقْلُدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُذِبْتُ لِجَمَلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الْوَسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنْ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَالِفٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَالِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِجَمَلِ الْأَمَانَةِ جَانِسِي .
 فَبِشَرِّى بِالْخَرِيجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَجْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَادِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَانِحٍ سَانِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَاءَ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَنَعٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 نَهْيًا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ فُحِّ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِّكَ يُعِيقُنِي عَنْ
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَأَنْتَابُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي أَمْنِي
 حَصَلْتُ . أَذِنْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طُوقْتُ .
 وَبِالْإِشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُخْزِيهِ عَذُولٌ وَلَا يَتْنِي مُعْتَقُهُ عِدَانَةٌ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَشْوَى إِلَّا جِبَالُ الشُّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانَةٌ

وَحَفِظْتُ الْمَهْدَ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَزَانَهُ

إشارة لخطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَدْنَانِ نَحْنُ نَتَذَاكُرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافَ
الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِالْأَيْتِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
مَا لِي أَرَاكَ لَلَيْتِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَأَسَّةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ. وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَنْسِكَ.
ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَيْفَ الطَّعْبُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اسْمِعْ تَرْجَمَةً حَالِي.
وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْحَاحِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
وَأَسْتَوِطَنْتُ السُّفُوفَ. دُونَ الشُّعَابِ وَالْكُفُوفِ. لِقَضِيصَةِ الْغُرَبَةِ.
وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
وَجَاوَزْتُ خَيْرًا مِنِّي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيدًا. فَأَعِيشْ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْنِي بَيْنِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
وَأَكْتَسَبْتُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقِتَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
الدَّارِ كَأَنْدَادِهِ. بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ. فَرَهْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
هُوَ الَّذِي حَبَّنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَغْدِيَتِهِمْ. مُزَاجُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسَبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّهَبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسَبٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بُرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سِرًّا حَمِيدًا . وَوَفَّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَتَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْحَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخَطَافِ وَائِثْقًا . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شَيْءٍ زَادَهُمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زُرٍّ فَرَجَهُمْ
 وَأَعْيَادَهُمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحَبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غُلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَهُ . فَهَلَّا اسْتَاسَنَ
 بِسَائَتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكْلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 تَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِينِهِمْ . وَلَا أَزَاجُهُمْ فِي أَمَاكِينِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْحَرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْفُرَاءِ قَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكَنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يُسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كَلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ تَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَقْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ قَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيقًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَانْتِسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنَزِلِي الْخَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَاعَلِي وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صَحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِينَ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شَيْئَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوُمٍ وَلَا زُهْدَةٍ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذَتْ . وَعِظَتْهُ بِتَجَامُعِ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عُجْبِي

إشارة الدُّرَّة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدُّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهَرَسَعُودٌ . وَمِنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَسَمَتْ غَزِيَّتِي . كَيْفَ غَاتَ قِيَّتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْتَضِيهِ
 أَبْنَاؤُ جَنَسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ قَرَأْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَثُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَلَذِكْ زَامَتَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَخَلَّقُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلَتْ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ الدِّيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصَحِّ النَّاسِ مُخْبِرٌ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَعْلَى

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَلَسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُكَ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي التَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أُرَاحِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْأُرَاحِمِ . لَعَلَّ يُوْهَبُ مَرْحُومٌ لِأَرْحَمِ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة إليك

١٣٣ (قَالَ) نَمَاتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْخُلُوتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمُنَعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وِظْفَةً . أَوْ قَطْبَ يَهْ مِنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبَشَّرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخَيْفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصَفَقَ بِجَنَاحِي إِشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأُغْلِنُ بِالصَّبَاحِ نَائِيهَا لِلنِّيَامِ . فَتَصْفِيقُ الْجَنَاحِ . بُشْرَى بِاللَّجَاحِ . وَتَزِيدُ
الصَّبَاحِ . دُعَاءَ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوِظْفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وَرَدِّي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا. قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّلَاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
 فَمَا تَرُ سَاعَةً . إِلَّا وَلِي فِيهَا وَظِيفَةٌ طَاعَةٍ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
 تَغْلُو قِيَمَتِي وَلَوْ أَشْتَرَيْتُ بِالْمَوَاقِيتِ . فَمَهَذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَايِ .
 وَإِشْفَائِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْعُ بِالْأَجَاجِ . وَلَا أَخْتَصِرُ
 دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَبَّةِ . إِنْ
 رَأَيْتُ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَّتُهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِيْتَارُ . إِذَا
 حَصَلَ الشُّتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَعُ لَأَهْلِ الدَّارِ . أَضِيرُ لَهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
 يَذْجُبُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَنْتَهَبُونَ أَنْبَاعِي . وَأَنَا فِي
 نَفْعِهِمْ سَاعِي . فَهَذِهِ شِئَةٌ أَوْصَانِي . وَنَجِيَّةٌ إِنْصَانِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي :
 بِذِكْرِ اللَّهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَذْنُو الْحَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
 وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُضْغِي وَيَذْرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَتَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ : يَا مَنْ بَدَنِي
 هَمَّتْهُ أَنْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقِي . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الضَّيْرِ فَتَسْبَقِي .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لُزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَقْعُ .
 سُقُوطُ نَفْسِكَ أَلْقَاكَ عَلَى الْمَزَايِلِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ الطَّلَلِ حَجَبُكَ عَنْ
 أَنْوَاعِ الْمَتَاجِرِ فِي الْمَتَاجِرِ . لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَا حِلَ . وَلَا يَظْفَرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَتَقِينُكَ . لَطَرَتْ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرِنِي كَيْفَ مَلَكْتُ هَوَايَ . فَمَلَكْتُ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَائِحٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَائِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَنْزِي . فَأَعُوصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَانِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَا إِلَهَ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَنْظُرْ إِلَّا بِزَيْدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَخْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَلَجَاجِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَطِّمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِلْسَّمَاتِ فَتَحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَأَنِّ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى تَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا الْكَ يَتَمَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَالِبَا لِمَعَايِ مُهْرُ الْمَعَايِ غَالِي
 قَدِمَ قَاوُلُ نَقْدٍ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا اسْتَعْدَبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
 حِمَاءَ دُونَ الْوَصَالِ حُمَةُ حَدِّ النَّصَالِ
 كَمَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي خَفَتْ بِسْمِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَذْعُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ الذِّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلَمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَاتْرُكْ مَنَازِلَ الْآبَطَالِ

١٣٥ (قَالَ) : فَتَادَتْ النَّحْلَةُ : يَا لَهَا مِنْ نَحْلَةٍ . مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَجُلَةٌ .
فَالْعَارِفُ مِنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ . وَقِيلَ دَعَوَاهُ . وَعُلِمَ صَفَاهُ سِرِّدٍ مِنْ نَحْوَاهُ .
وَمِنْ مَحَاقِقِهِ دَعَوَاهُ . ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ . فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ .
وَلَا تُزِبْ فِرْعَا يُفْضُهُ أَصْلُكَ . أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ . طَعْمِي وَصَفَا مَشْرَبِي .
كَيْفَ رُفِعَتْ رُتْبَتِي . وَعَلَا مَنْصِبِي . وَكَمَلْ أَدَبِي . لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ
الْحَلَالَ . وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ . حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ . أَسْأَلُكَ سُبُلَ
رَبِّي ذُالَآ . وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُصُولًا وَجَمَلًا . أَبْتَنِي الْمُبَاحَ . الَّذِي لَيْسَ
عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ . فَأَجْعَلْ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي . وَمِنْ مُبَاحِ الْأَشْجَارِ
قُوَّتِي . أَبْتَنِي بُيُوتًا يَنْجِزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا . وَيَتَغَيَّرُ أَقْلِيدُسُ فِي
حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا . ثُمَّ اسْفُطْ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ . فَلَا آكُلُ ثَمَرَةً .
وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً . بَلْ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ . فَأَتَغَدَّى بِهِ
قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ . ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي . وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي . فَأَشْتَعِلُ
فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي . وَأُخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي . وَلَا أَفْتَرَعَنَّ
الدَّكْرَ . وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ . قَدْ أَتَّبَعْتُ عَلَيَّ وَعَمَلِي . سَمْعِي وَعَسَلِي .
فَأَلْسَمْتُ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمُنْمُولِ . وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ . فَأَلْسَمْتُ الضِّيَاءَ
وَأَعَسَلُ الشِّفَاءَ . وَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَائِي . وَإِنْ أَتَانِي
عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي . فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي . حَتَّى أُجِرَّعَهُ مَرَارَةً
لَسْمِي . وَلَا أَتِيلُهُ شَهْدِي . إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي . فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

مَنِّي قَهْرًا . أَحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَهْبِرَ عَلَى حَدِّ نَصَالِي :

إِضْبِرْ عَلَى مِرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مَنِّي وَصَالَا
 وَأُزْلِكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحِيًّا وَأَسْتَعْجِلْ الْآجَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى مَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتَ مِثَالَا
 فَإِنْ فَهِمْتَ رُومُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا لَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمَعِ غِرَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِيَنِي . أَنْ
 رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْتِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 أَبِي . وَفِي الْإِبْجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ تَغْرِيقِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
 شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي ذَرَفِيقِي . فَيَتَنَا نَحْنُ نُجْتَمِعُونَ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِعُونَ .
 إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَطًا مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
 فَأَفْرَدْتُ عَنْهُ وَأَفْرَدَعَنِي . وَبَيْتُ مِنْهُ وَبَانَ مَنِّي . ثُمَّ سُلِّطَتْ عَلَيَّ النَّارُ .
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَسَدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِ .
 وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقِ .

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَامَتْ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَيْرِي .
وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُتَمَتِّعٌ
بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامٌ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
أَلَا وَبَاشُ . مِنْ أَتْرَاشٍ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذَا هَبَ أَضْوَاءِي . فَأَحْرِقُهُ
مَكْفَاةً لِفِعْلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلَأْتُ الْأَرْضُ
فَرَاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتُ أَوْبَاشًا لَمَا أَخْفَوْا نُورَ الْإِيمَانِ .
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزُ مَنْ
تَمَعْنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيُّ نُورٍ
فَهْدَايَ وَغَايَتِي يَا كُلَّ سُرُورِي
لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمُّ أَنَا فِي تَشْرِيقِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ نُرَابٍ . يَتَعَقُّ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيُؤُوحُ نَوْحَ الْمَصَابِ .
وَيُؤُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ جَلْبَابِ .
وَرَضِيَ مِنَ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْرِيدِ الْغِيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ أَتَذْ
كَّرَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَّرْتَ مَا كَانَ حُلُوشًا فَيَا . فَمَا لَكَ لَمْ تَرَلْ فِي
الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَضْرًا عَالِيًا بَشَرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشْأَمُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ أَتَيْبِ
 الْحَادِرِ . الْأُمُّ مِنْ جَادِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ زَجَرِهِ الْقَصِيجِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحَاكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْقَبِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّضَرُّعِ .
 كَانَ الْمَوَاطِظُ فِي أَذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامُ الْمَوَاطِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّجِيجِ .
 أَمَا تَذْكُرُ رَحِيكَ مِنْ هَذَا الْقَفِيجِ الْقَفِيجِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بَنُوْحُ نُوحَ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارِ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ سَتَرِيحُ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحِ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمُسَجِّ . أَيْ جَمْعٌ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيْ
 شَمَلٌ لَمْ يَتَمَزَّقْ . أَيْ صَفْوَةٌ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيْ حُلُوٌّ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيْ أَمَلٌ لَمْ
 يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيْ تَذَبُّرٌ . لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيْ بَشِيرٌ . لَمْ يُعَقِّبْهُ
 تَذِيرٌ . أَيْ يُسِيرُ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيْ حَالٌ . مَا حَالٌ . أَيْ مُقِيمٌ مَا
 زَالَ . أَيْ مَالٌ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذُووُ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذُووُ الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذُووُ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْعُتْمَةِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَأْمُنُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشِيمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

اللَّهُمَّ . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَسْخُتْ بِرِشَاحِي . وَوَاقَفْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَاجْتَبَيْتَنِي بِالنُّوحِ . مِنْ سَائِرِ النُّوَاحِي . لَكِنَّ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجَبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِحُرَابِ الْمُنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكَلَ . غُصَّةَ الْمَأْكَلِ . وَأَبْشِرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الْمَرَّاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقَاتِكَ . لَا مِنْ صَدَقَاتِكَ . وَمَنْ تَذَلِكَ . لَا مِنْ
 عَذْرِكَ . وَمَنْ بَصْرِكَ . لَا مِنْ نَصْرِكَ . وَمَنْ وَعْظِكَ . فَقَدْ أَيْتَ ظَلَمَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَّرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ إِسْوَادِي . وَحَذَّرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعْتُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمْرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَذَا بِهِمْ لَوْشَكِ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعَنِّفُنِي الْجُحُولُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَتَوَابِ الْجِدَادِ
 فَقُلْتُ لَهُ أَتَعْظِي بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَتَوَابِ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبْعًا أَنْادِي بِالنُّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِيبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاجِيهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ أَلْمُتِ لِهَوَادِ
 تَمِظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمَ إِشَارَةَ مَا تُشِيرُ بِهِ أَلْفَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْقَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاحٍ فِيهَا وَغَادٍ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَمَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

إشارة المذهب

١٣٨ (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَذَّرَنِي مَقَتِي .
 أَنْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْظِنُ الطَّيْرِ . الْمُتَأَسِّفُ عَلَى قَوَاتِ الْحَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَغَتِ الصَّمَاثُ . لَنَفَذْتَ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَاثُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَاتَتْ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرَحْتَ السَّرَارُ
 لَطَهَّرْتَ الْبَشَارُ . وَلَوْ أَنْشَرْتَ الصُّدُورُ . لَطَهَّرَ لَكَ الذُّورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرْتَ الْقُلُوبُ . لَطَهَّرْتَ
 سَرَائِرَ الْغُيُوبُ . وَأَوْ خَلَعْتَ ثِيَابَ الْإِنْعَجَابُ . لَرَفَعَ لَكَ الْحُجَابُ . وَلَوْ
 غَبِثَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبُ . أَشَاهَدْتَ عَالَمَ الْغَيْبُ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقُ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَّا أَنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَاءَةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوْصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الزُّلْفَى لَدَيْهِ . وَكَأَنَّكَ مُسْتَجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا لَوْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاغِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزَمِكَ وَأَحْرَقْتَكَ حَرَارَةَ حِرْصِكَ . وَأَثَرَلْتَكَ مُخَمَّةُ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُفُونَهُ رُغُونَتِكَ . وَبَرَّسْتَمْتَكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُقَعَّدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَرَةُ. قَدْ اُنْمَكَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ فَبِجَا. وَالتَّصِيحَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهَدُودِ حِينَ حَسَلَتْ سِيرَتُهُ. وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ. كَيْفَ
 نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ. فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ. مَا تُحِبُّهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ النَّجَّاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزَّجَّاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ. وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صَغِيرِ الْجَفَّانِ. مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نُضْحِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سِرِّيَّتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَأَدَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدَّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينَ الدُّبَابِ. وَنَبِيحِ
 الْكَلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَبَاعُ السَّرَابِ. وَضِيَاءُ الضُّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

اشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَدْنِي أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخَطَّابِ. مُنْصَتٌّ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ. يَلْقُطُ مِنَ الْأَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ.
 فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. يَا مُنْجُوبًا عَنِ الْمُسْتَبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ. تَأَدَّبُ بِأَدَابِي. فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي.
 وَسُئِنَ نَفْسَكَ لِسِيَاسَتِي. وَأَسْمَعُ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تَجِدُنِي فِي الْأَمْنَى
 قَعِيرًا. لَا أَرَاكَ وَإِقْفَاكَ عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاجِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتَبِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرُدُ فَأَعُودُ . وَأُضْرَبُ
وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظُ زَوْدٍ بَاقٍ عَلَى الْعُهودِ . أَفُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودُ . وَأَصُومُ وَالْجِوَانُ مَمْدُودُ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَمْدُودُ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودُ . وَلَا رِبَاطٌ مَمْهُودُ . وَلَا مَقَامٌ تَحْمُودُ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرْتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبِرْتُ . لَا أَرَى فِي الْأَفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتِ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادُ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِيْنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصِيبُ الزَّادُ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُخْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
حِمَاهُمْ . وَأُدُومُ عَلَى وَفَاهُمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلْعِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَافِي فْتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقْ بِجِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي
أَنَا كُلُّ حَقِيرٍ قَدِيرٍ وَلَكِنْ
أَحْظُ الْجَارِ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ غَسَرٍ وَيُسْرِ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي
أَجْمَلُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا إِرْضِي
وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَالِي
لِي قَلْبُ خَالٍ مِنَ الْأَدْغَالِ
أَنْ أَحَابِي عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
أَوْسَقْتَنِي إِلَّا يَوْمَ مَرِّ النَّكَالِ
إِذْ عَلَيَّ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ أَتْكَالِي
وَفِرَارًا مِنْ مَرْدَلِ السُّوَالِ

فَخَلَّالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَايِ يَفْقُنُ كُلَّ خِلَالِ

اشارة للجمل

١٤٠. فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
كُنْتُ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْكُذْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَلْدًا وَصَبْرًا.
فَإِنْ مِنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَّ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَآ أَنَا أَجْمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ. وَأَقْطَعُ الْمَرَا حِلَّ
الطَّوَالِ. وَأَكْبَادُ الْأَهْوَالِ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النَّكَالِ. وَلَا يَعْتَرِينِي
فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْذَالِ. بَلْ أَنْقَادُ لَطْفِ الصَّغِيرِ.
وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَضَعْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الدَّلُولُ. الَّذِي
لِلْأَثَمَالِ حَوْلٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذَمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَائِنِ وَلَا بِالْمُلُولِ. وَلَا
بِالصَّائِلِ عَنِ الْمُصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
مَا تَعَجُّزُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ. وَأَصَابِرُ فِي ظُلُمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
أَحُولُ. فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَلَغْتُ مَآرِبِي. أَتَيْتُ حَبْلِي عَلَى
غَارِبِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَكْتَسَبْتُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَأَلْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي.
وَمَدَدْتُ عُنُقِي لِلْبُلُوغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَلْتُ فَالْدَّائِلُ هَادِي. وَإِنْ
زَلَلْتُ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ أَنْتِقَادِي. فَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَقَامِ

١٤١ فَقَالَ أَفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُبُلَ الْمَآثِرِ . تَعْلَمُ
مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصِدْقَ الطَّلَبِ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَا أَنَا أَجْمَلُ
مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَاجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقْ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ يِي طَلَبَهُ .
وَبَلَغَ يِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ تَحْجَبُهُ . فَلَا يُدْرِكُنِي إِلَّا الْغُبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْعَجَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ . فَأَنَا الْعُجْتَهُدُ السَّاقِ .
فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَا . وَأَوَانَ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَبْتُ
ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفُ لَثْقَلِ أَحْمَالِهِ . مُعَاقٍ لِقَتْمِشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
وَرَأَيْتُ نَمَّ حُصُوقًا لَا يَسْتَوِفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَهْطَعُوهَا إِلَّا
كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ ثَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ .
وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيْنُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
مَطْرُودٌ . هَلَا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْقُصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
نَفْسِكَ الْخُدُودَ . وَأَوْتَقْتِ جَوَارِحَكَ بِالْقِيُودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
الْحَدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتِ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْتَقْتُ
سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِنِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشِكَا لِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَلْجَيْتُ
 بِلِحَايِي . لِئَلَّا يَفْسُدَ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِمِجْزَايِي . خَشْيَةَ مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَمَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُطِفْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأَلْهِمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرَحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَضْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبَدَيْتُ عِجْزًا .
 فَكَمْ كَسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَزْتُ أَهْلَ الْتِفَاقِ حِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ أَلْفَاقَ قَهْلٍ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكَزًا .
 (فَجَاوَبَتْهُ) تَاللهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْفِعَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القر

١٤٢ قَالَتْ دُودَةُ الْقَرَى: تَاللهِ لَيْسَتْ أَلْفَحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَالْهَيَاكِلِ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَذْلِ
 النَّتَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلُهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أَوْخِذُ فِي الْبِدَايَةِ بَرًّا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرًّا . فَإِذَا ثَمَّتْ
 أَيَّامُ حَمَلِي . وَآذَنْتِ الْقُدْرَةُ بِجَمْعِ شَمْلِي . إِنْفَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمَلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ وَضَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمٍ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالْتَرْبِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُمِّي عَنْ تَخَالِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا نَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَذْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِأُمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَتَبَدَّرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شُكْوَى . فَأَتَسَبِّحُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَجْزِي عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسْئَلُ مِنْ لَمَاعِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صُنْعَةِ صَانِعِي مَلَأِسَ . تُرَيْنِ
 اللَّابِسَ . فَأَلْمَلُوكُ تَفَخُّرُ مَجْرِي . وَالسَّلَاطِينُ تَتَأَفَّسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرِي . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الرِّخَافِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلَتْ بَيْتِي الْمَسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَبْعِهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِمُخِيرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكِدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنَّنِي أَتَبَلَيْتُ بِحَرِّقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ اعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . مُجَاوِرُنِي وَمُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ : لِي تَسْبِيحٌ وَلَكَ تَسْبِيحٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ أَنْتِ تَسْبِيحُ شَبَكَةِ الذِّبَابِ . وَتَجْمَعُ

لِلْعَرَابِ . وَأَنَا نَسِجِي زِينَةُ الْكَوَاعِبِ الْأَثْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بِضُغْنِكَ
الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَذَرُ مِنَ النَّجْمِ إِذَا أَفَلَ

إشارة العنكبوت

٩٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْنُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَبِيلِ الذِّكْرِ مَبْنُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لِأَمٍّ عَلَيَّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجُ لِنَفْسِي أَنْبَاتٍ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصَدُ زَاوِيَةَ أَلَيْتٍ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا قَهْوِ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصَدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحُبَايَا . وَلَمَّا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْحَفَايَا . فَأَلْقَيْتُ لِعَامِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخَلْطَةِ وَأَقَاتِهَا . ثُمَّ
أَفْرَدْتُ مِنْ طَافَاتِ غَزَلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَأَتَعَلَّقُ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . مُمَسَّكَةً بِرَحْلِي . فَيَظُنُّ الْغَرُّ بَنِيكَ الْحَالَةَ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا حَالَةَ . فَتَمُرُّ الذُّبَابَةُ فَأَخْطَفُهَا بِجَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغِدَارَةُ . الَّتِي يُزْخَرُ فِيهَا غَرَارَةُ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةُ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلِهَوَا الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مَخْصُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَصُولٌ . فَيَأْتِي مَخْرُومٌ حُرْمِ السُّؤْلِ :

أَيُّهَا الْمُنْعَبُ فُحْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
وَاتَّخِذْ يَتًا ضَعِيفًا مِثْلَ يَتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا يَنْتُ مَثْوَاكِ فَمَوْتِي

اشارة النملة

١٤٤ قَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرَمِي فَنَمْ لَهُ . وَتَعْلَمُ مِنِّي
قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَأَنْظُرِي إِلَى غُرَّةِ عَزَمِي .
وَصِحَّةِ خَزَمِي . وَتَأَمَّلِي كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلُ
مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونُ مِنْ
جُمَلَةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلَّمْتُ بِجَمْعِ الْمُؤُونَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ
قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاحِ . مَا لَا يُذَرِّكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَدِيرُ مَا
أَذْخَرُهُ مِنَ الْحَبِّ لِقَوْتِي . فِي بُيُوتِي . فَلِيَهْمُنِي قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْبُورَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ
مُدَبَّرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلِقَ فَإِنَهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَ . وَإِنْ
قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةٌ الْأَرْضِ
أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَخَفَّفْتُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ
ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتِ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَهْصَا .
وَأَنْهَمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحَرَصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي .
لَأَقَمْتُ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَقَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَهِدُ فِي
سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِتَقَرَّ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ
الْأَشْرَاكِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَارِزٍ فَلَا تَجِدُ
رُجُوعًا . تُخْتَطِفُهَا ذَبَابَةٌ . أَوْ تَطَأُهَا دَابَّةٌ . فَتَلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيُّدِيَهُنَّ . فَتَقَسَّمَهُ بِالسُّوَيَةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظَّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقا.

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ): لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فَمِثُّمُ رَمَزِ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا: لَا بَدَلَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَنَسْتَمِسِكْ بِسَبَبِهِ . وَنَعْمَنْ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَلَّغْنَا
أَنْ يَجْزِيَ أَرْبَ الْبَحْرِ مِلْكَ يُقَالُ لَهُ عُنْقَاهُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمُهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مُضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُغْرِقَةٌ . وَنَهْرَانُ مُخْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ أَكُفِّكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقِمْنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكُ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا: صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنِحَتِهِ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظُلْمِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةِ: وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلَكُنْ سَبِيلًا عَدْلًا .
إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَمُحَاقٍ .
وَتَلَاشٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَأَسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ. وَتَرَايَدَ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خِمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا.
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا نُرِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
وَصَبَرْنَا عَلَى ظِلْمِ الْأَهْوَاِجِ. ثُمَّ لَا تَشْتَغِلُ بِالْمَلَأِيسِ وَالْمُفَافِرِ. قَوَا الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا نُرِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَيَحْكُمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِذِلَّةٍ الْعَبِيدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَإِنَّا الْمَلِكُ سُلِّمْتُمْ أَوْ أَيْبَيْتُمْ.
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضَّعْفَاءُ. فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
نَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا. وَتَحِلَّ عَرَانَا. وَأَضْحَلَّ وُجُودُنَا مِمَّا اعْتَرَانَا.
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ اقْتِفَادُكُمْ. وَبَتَّ أَنْكِسَارُكُمْ.
فَعَلِيَ انْجِبَارُكُمْ. انْطَلَقُوا فَدَاوُوا الْعَلِيلَ. فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ. فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ:

يَا قَلْبُ بَشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى تَفْحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَرُوقُ الْفَرْبِ قَدْ لَمِتْ
فَقِشْ هَنِيئًا بَوَصْلٍ غَيْرِ مُتَفَصِّلٍ مَعَ مَنْ نَحْبٍ وَحُجْبِ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حَيِّهِ أَنْصَدَتْ

أَلْبَابُ السَّائِعِ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاهِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُغْرِبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبَعْدَ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ . وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ : هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ . وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ . وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ . وَآدَابُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَعْرِفَةُ الْقَرُصِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ . وَالْمُصْلِحَةِ
وَالْمُفْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ . إِلَى صَاحِبِهِ نُشْدُ الرِّجَالِ . وَحَوْلَهُ يَتَكَفَّفُ
الرِّجَالُ . وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ . وَيَبْقَى اسْمُهُ عَلَى مَرَمَرِ الزَّمَانِ .
قِيلَ : فَأَلْفَقَهُ . قَالَ : فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ . وَهُوَ عَصِمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ .
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ . وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ . وَيَلْبِسُهُ
الْفَنَى وَيُلْبِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا . قِيلَ : فَأَلْكَلَامُ . قَالَ : عِبَارَاتُ كُلِّ صِنَاعَةٍ .
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ . وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرَّجْحَانُ . وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ . وَكَبِيرٌ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ . وَالْخَالِصُ
وَالْمُشَوَّبُ . وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِزُ وَالسُّتُوقُ . وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكُدْرُ .
وَسَلَّمَ يُرْتَقَى بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْخَطِيرِ . وَآدِلَةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَّحْصِيلِ . وَإِذْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ . وَآلَةٌ

لَا ظَهَارَ الْغَامِضِ الْمُسْتَهَبِ . وَأَدَاةُ لِكَشْفِ الْحَقِيقِ الْمُلْتَبَسِ . وَبِهِ تَعْرِفُ
 رُبُوبِيَّةَ الرَّبِّ وَحُجَّةَ الرُّسُلِ . وَيُخْتَرَزُ بِهِ مِنْ شُبُهَاتِ الْمَقَالَاتِ . وَفَسَادِ
 التَّلَاوِيَّاتِ . وَبِهِ تُدْفَعُ مُضِلَّاتُ الْأَهْوَاءِ وَالْتَحُلُّ . وَتُبْطَلُ تَأْوِيلَاتُ
 الْأَذْيَانِ وَالْمَلَلِ . وَيُنْزَهُ عَنْ غَبَاوَةِ التَّقْلِيدِ وَغَمَةِ التَّرْدِيدِ . قِيلَ :
 فَأَلْفَسَفَةُ . قَالَ : أَدَاةُ الضَّمَاوِرِ وَآلَةُ الْخَوَاطِرِ . وَتَنَاجِيُ الْعَمَلِ وَادِلَّةُ
 لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْمَنَاصِرِ . وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ . وَعِلَلُ
 الْأَشْتَخَاصِ وَالصُّوَرِ . وَاخْتِلَافِ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْفَرَائِزِ .
 قِيلَ : فَالْتَّجُومُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرِ الْأَظِلَّةِ . وَسُمُوتِ الْبُلْدَانِ .
 وَإِفْدَامِ الزَّوَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ . وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
 الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . وَأَمَارَاتِ الْغُيُوثِ وَالْأَمْطَارِ . وَأَوْقَاتِ سَلَامَةِ
 الزَّرْعِ وَالْتِمَارِ . قِيلَ : فَالطَّبُّ . قَالَ : سَائِسُ الْأَبْدَانِ . وَالْمُنْبَهُ عَلَى
 طَبَائِعِ الْحَيَوَانِ . وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الصِّحَّةِ . وَزَرْمَةُ الْعِلَّةِ . وَالْوُقُوفُ عَلَى
 الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ . وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ . وَعِلْمُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
 وَالْعَامُّ . وَيَقْتَفِرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ . وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ .
 وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ . قِيلَ : فَالْتَّخَوُّ . قَالَ : يَنْسُطُ مِنَ الْعَمِيِّ
 اللِّسَانِ . وَيُجْرِي مِنَ الْحَصْرِ الْبَيَانِ . وَبِهِ يُسَلِّمُ مِنْ هُجْنَةِ اللَّغْنِ وَتَحْرِيفِ
 الْقَوْلِ . وَهُوَ آلَةُ لِصَوَابِ الْمُنْطَقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الْعَرَبِ . قِيلَ :
 فَالْحِسَابُ . قَالَ : عِلْمٌ طَبِيعِيٌّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ . وَأَضْطَرَّارِيٌّ لَا مَطْمَنَ
 فِيهِ . ثَابِتُ الدَّلَالَةِ صَابِ الْمَقَالَةِ . وَاضِحُ الْبُرْهَانِ شَدِيدُ الْبَيَانِ .

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقَضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارَضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ • مُؤَدٍّ إِلَى
الْإِنْصَافِ وَالْإِنْصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ • وَقِيَامُ
أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِجَارِ • وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ • قِيلَ :
فَالْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ • وَرَاضٍ الطَّبْعِ وَسَائِسُ
الْفَهْمِ • وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ • وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ •
قِيلَ : فَالْحُطُّ • قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّيْرِ • وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
الْحَبْرِ • وَحَافِظُ الْأَثَرِ • وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْذَنْبَا • وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى • فَهَذَا
آخِرُ مَا حَكِيَ عَنِ الْجَلَّاحِظِ فِي مَدَحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ •
وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرِ فِي الْمَحْفُوظِ مِنْهُ وَالْمُسْمُوعِ • فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ
عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَقْتَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكَثَّرُ قَوَائِدُهُ • وَتَشَعَّبَ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ
أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ • فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظَرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ • إِذِ
الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ • فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
اللطيفِ • فَمَتَى وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيْتُ فَهُوَ بَابِلُ • وَقَدْ
اكتَفَيْتُ مِنْ هَذَا شِعْرَ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ • وَهَؤُلَاءِ أَلَلَّاهُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَغَرَاهُ وَمَنَاتُهُ •
الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَتُسْتَحْسَنَاتُهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

غَرَابَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقُدَمَاءِ. وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ. أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ. وَصَقِلَ أَلْبَابُ وَأَذْهَانُ.
قَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ. لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ. هُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ. الَّذِي يَرَّزُ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ. وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ. وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ. فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ. وَرَاضَ فِي كُرْهِهِ بِرَاضِهِ. أَطَاعَتْهُ أَعِنَّةُ
الْكَلَامِ. وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ. فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
قَوْلَ حَكِيمٍ. وَتَعَلَّمَ فَتَوَقَّ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلِيمٌ. وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُخْتَرِيُّ
فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى. وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى. وَلَقَدْ
حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجُزْأَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَيَنِينَا يَكُونُ فِي شَطَفِ نَجْدٍ
حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرِيفِ أَعْرَاقٍ. وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ. وَالشَّاعِرُ الْبُخْتَرِيُّ. وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ. وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عِلْمِهِ. فَإِنَّ أَبَا
عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصُّخْرَةِ الصَّمَاءِ. فِي اللَّفْظِ
الْمُصَوِّغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ. فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ بُعْدَ الْمَرَامِ. مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
الْأَفْهَامِ. وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ. وَرَقِيَ فِي
دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ. وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَصَصَّرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ. وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ. وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ. وَاخْتَصَّ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ . وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَثِّمًا . وَلَا مِنْهُ مُتَلَتِّمًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا . وَأَشَجَّعَ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا . حَتَّى نَظُنُّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا . وَالسَّالِحِينَ قَدْ قَوَّصَلَا .
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضِلُّ بِسَالِكِهِ . وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ .
فَأَمَّا مَفْرُطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مَفْرُطٌ . وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
عُذْرِهِ . فَإِنْ سَعَادَةُ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ . وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ . وَمِنْهَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ . وَلَقَدْ
صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَيْبَاتِ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكَرَامَ بَأَنْخَاهُمْ يَدَا حُتْمُوا
وَلَا تَبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمَمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمَعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى . وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى . وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً . خَمْسُ
مِنْهَا فِي النَّهَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا . وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ . وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ . وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ .
وَخَمْسُ فِي النَّهَايَةِ الْمُتَهَفَّرَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا . وَعَدَّهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا .
وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْفَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

الَمْلَامُ • وَجَعَلَتْ عِرْضَهُ شَارَةً لِسَهَامِ الْأَقْوَامِ • وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شَعْرِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ • فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا • وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ لِشَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ
شَعْرُهُ عَلَى أَلْحَاكِ إِلَّا وَاعْرَضْتُهِ عَلَى نَظْرِي • فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ اللَّمْعَانِيِّ الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهُمَا لِطَيفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ • وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَاظِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا • فَأَخَّرْتُ دَوَائِنَهُمْ لِأَشْتِمَالِهَا
عَلَى مُحَاسِنِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ • وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلْقَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِأَنْعُوبٍ • بِسَرَائِرِ
الْقُلُوبِ • عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ • بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ • مُتَبَايِنَاتِ
الْصُورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ • لِقَاحِهَا التَّفْكِيرُ وَنَتَاجُهَا التَّدْوِيرُ • تَحْرَسُ
مُنْفَرِدَاتٍ • وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ • بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنِ مُخْدُودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ • خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ • قَطَعَهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَسِبَ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ • فَهَذَا لِكَ اسْتِمْدَادِ الْقَلَمِ بِشَقِّهِ وَنَثَرِهِ فِي الْقَرَطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْإِتِّمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللِّسَانُ . وَنَهَسَتْهُ اللَّهُوَاتُ وَقَطَعَتْهُ الْأَسْنَانُ وَلَقَطَتْهُ الشَّفَاهُ وَوَعَتْهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنْ أُنْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْبُخَيْرِيُّ :
 طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكْسِرِ
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مَحَبَّةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْوَحْدِثِ آيَفًا وَإِذَا بِمَحْضَرَتِهِ ظَبَاءٌ رُئِعُ
 وَإِذَا ظَبَاءُ الْإِنْسِ تَكَبُّ كُلِّ مَا يُمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَادِبُونَ الْحَبْرَ مِنْ مَلْسُومَةٍ بَيْضَاءٍ تَحْمِلُهَا عِلَاقِقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْبَلُورِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّهُا سَيْجٌ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِكُهَا فِيمَا حَوْتُهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرَشْفِ رِضَائِهَا أَذَاهُ فُوهَا وَهْيَ لَا تَسْنَعُ
 وَكَأَنَّهُ قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْعُ

وصف الخط

١٥٠ سُلِّ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
 قَالَ : إِذَا اُعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتِ أَلْفُهُ وَلَامُهُ . وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ :
 وَضَاهَى صُعُودُهُ حُدُورُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ . وَلَمْ تَشْنِبْ رَاوُهُ وَنُونُهُ .
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْفَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَلَفْ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَثْمَرُهُ . وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَّتْ
 أَصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنْ
 تَصْنَعِ الْمُحَبِّرِينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النَّسَبَةِ وَالْحِلْمَةِ (لِلْقِيَرَوَانِيِّ)

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّخْرِيرِ وَدُرُومُ حُسْنِ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّنْصِيرِ
أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقِفٍ صُلْبٍ يَصُوغُ صِيَاغَةَ التَّخْيِيرِ
وَإِذَا عَمَدَتْ لِرَبِّهِ قَسْوَحُهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظِرْ إِلَى طَرَفِهِ فَأَجْمَلْ رُبِّيهِ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَأَجْمَلْ لِحِفَّتِهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّثْقِيرِ
وَالشَّقِّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى رُبِّيهِ مِنْ جَانِبِهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتَيْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِثْقَانًا طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْفَطْرِ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطْ فِيهِ جَمْلَةُ التَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جَمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَحْرِيفٍ إِلَى تَدْوِيرِ
وَأَلِنْ دَوَاتِكَ بِالْذَّخَانِ مُدَبَّرًا بِالْخَلِّ أَوْ بِالْحِصْرِ الْمَعْصُورِ
وَأَضِفْ إِلَيْهِ مِفْرَةً قَدْ صُوِّلَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
فَاكْبِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كَيْ يَأْتِيَ عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّغْيِيرِ
ثُمَّ أَجْمَلِ التَّمْثِيلَ دَائِبَكَ صَابِرًا مَا أَذْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صُبُورِ
إِبْدَاءِهِ فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
لَا تُخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ تَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَاللَّسْطِيرِ

تَأْلَامُ يَضْبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هِنَا وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكْتَ مَا أَمَلْتَهُ أَضْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَةً وَجُورٍ
 فَاشْكُرْ إِلَهَكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يُمِيطُ كُلَّ شَكُورٍ
 وَأَرْغَبُ لِكَمَلِكَ أَنْ تَحُطَّ بِنَانِهَا خَيْرًا مُخْلَفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ عَدَا عِنْدَ الْتِقَاءِ كِتَابِهِ الْمُنْشُورِ

في الادب وربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدَرِّسِ أَيْنِهِ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطَى بِجَذْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَسْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مَكَلَّفَةً عَلَى مَنْ أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَهْدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكِرَةً وَحُسْنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعُ سَدَادِكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ أَلْيَا لِي عَلَى أَحْدَانِيَا وَزُرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعُصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قِسْطًا مِنْ مِلَاحَظَةٍ فَمَا يَرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صَابُ عَلَى النِّجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ مُخَيَّرَاتٍ عَنْ تَجَابِتِهِ كَالنَّارِ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرَرُ
 مِنْ مَعْشَرٍ حَلَّتِ الْعُلَيَّا بَيْنَهُمْ يُعَدُّ شُكْرُهُمْ فُخْرًا إِذَا شَكُرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي زَيْبَةِ الْوُلْدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَأَجْعَلِ

الْحَزَنَ دَابَّهُمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْقَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ
 جَنَانِكَ . وَأَكْثَمَ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَثْبَتَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ تَلَى رَجَاءَ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَازِ . وَالْمَهْلَةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَارِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَازِ . وَحَبَبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّغْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْخُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرِهَ إِلَيْهِمْ مُجَاسَّةَ الْمُلُوكِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينِ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُفُوبِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبِ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرْضَهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِدِ وَالْمَشَاوِرِ نَدًيًا . لِيُتَرَّنَّ نَزْمٌ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى
 الْإِرْدِيَادِ . وَرَضَهُمْ رِيَاضَةَ الْجَلِيَادِ . وَأَحْذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهْيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخَلْقَ الذَّمِيَّةَ كُلَّ
 مَا تَجَمَّتْ . وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعِيفُهَا .
 إِنْ أَلْعَصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَلْعَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُؤْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَأَسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَأَنْظِرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّنَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحُبَّةِ وَالْمَقَّةِ

(المقري)

أَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي السِّيفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا أَفْتُلُ بِالْأَعْرَارِ وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ : أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ الْأَسْهَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السِّيفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السِّيفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا قَالَى السِّيفُ مَعَادَهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
يُبِضُ الصَّفَاحُ لِأَسْوَدِ الصَّخَافِ فِي مُؤْنِنِ جَلَالِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَفْلَايِي قَوَائِلُ لِي أَلْمَجْدُ لِلسِّيفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
الْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخُدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السِّيفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخَوْفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْمَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَسَنَانَ وَفِي الرِّدْفِ كَأَرْهَفِ الْقَاضِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشِدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ سَخْنًا مَرَهَمًا
مُقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّلًا وَمُوصِلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّمًا
تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَلَاعَهَا قُلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
كَالْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْفُفًا
يَزِي بِهِ قَلَمًا يُخْجِلُ لَمَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَضْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ يُنِيكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يُذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يُذِرِي
يُزِي أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
كَالْبَجْرِ إِذَا يَجْرِي وَكَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَكَالْصَّارِمِ إِذَا يَفْرِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهْفُ مُمْشِقُ يُخْرِيكُهُ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانُ مُرَهَفٍ حَدُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رَبَّانُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجْهَانُ
كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحَابُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
فقط منفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما يذلهم من الهرم .
فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها .
فكون للسيف مزية في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تمهد أمره ولم
يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط والمباهاة
الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المعين له في ذلك فمعلم الحاجة
إلى تضريفه وتكون السيوف مهتلة في مضاجع غمودها . إلا إذا نابت
نابئة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
خلواته نجياً . لأنه حينئذ آتاه التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
والنظر في أعطائه وتقيف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
على أنفسهم من بؤاديه . وفي معنى ذلك ما كتبه أبو مسلم

لَمْ تَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزْرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ (مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ نَجِدُ الْقَلَمَ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَأَلَمْتُ وَأَلَمْتُ لَا شَيْءَ يُقَالُ لَهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتٌ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ

١٥٨ قَالَ حَبِيبُ بْنُ قَلَمٍ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنُ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي إِسْنَانُهُ تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْتَكْلِ وَالْمُفَاصِلُ
لَهُ الْجُلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا مَبْهَاتُهَا لَمَّا أُحْتَفِلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي أَلْقَاتِ لَاتٍ لَهُ أَبُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحُ إِنْ اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافُ وَأَفِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْحَيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْدَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ آسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخُنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْآنَامِلُ
رَأَيْتُ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا افْتَحَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بَيْنَهُمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ فَخْرًا وَرِفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لَأَيُّ الْفَرْجِ بَيْنَ الدَّهَانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْقَلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنْيَاتِ
قَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفَاتِ
فِي شَرَفِ الْكُتَّابِ

١٦٠ الْكُتَّابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَزْكَاهُ. وَعُيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعَوَانُهُ. وَبَهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا. وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا. مَا لَيْسَ لَهُمْ فَاحِرَةٌ. وَخَاسِنَةٌ
بَاهِرَةٌ. وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ. وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ. مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ. وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّذْيِيرِ إِلَيْهِمْ. بِهِمْ تُحْلَى الْعَوَاطِلُ. وَتَبْتَسِمُ
تُغُورُ الْمَعَالِقُ. مَجَالِسُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ. وَبِنَدَاهُمْ أُنْدِيَةُ الْقَصَادِ
مَعْمُورَةٌ. يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ. وَيَنْزَهُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيحِ. هُمْ أَهْلُ الْبَرَاةِ وَاللَّسَنِ. وَشَيْئُهُمْ لَفٌ
الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ. يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَذْحِ. وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي الْمُنْحِ. دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ.
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَانِي وَالْمُهَوِّفِ. يُجِلُّونَ الْكَبِيرَ. وَيُجِلُّونَ الصَّغِيرَ.
وَلَا يُجِلُّونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّفَاتُ. وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبْتَ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسْتُ خَطْكَ بِالسَّحْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهَوَّ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهَوَّ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
 بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
 الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِيَةٌ .
 وَتَسْكُنُ وَهِيَ بِمَا يُطْرَبُ السَّمْعُ مَتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدَتْ قُدُودَهَا .
 وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سُعُودَهَا . أَسْنَتْهَا مَرْهَفَةٌ . وَمَطَّارُهَا مُنَوِّفَةٌ .
 تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
 تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَرْوَاحِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعُدُوبَةٍ إِيرَادِهَا . تَشَاتُ
 عَلَى نَطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلِّمُ اللَّحْنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
 الْأَنْيَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تُدْهِشُ النَّظَرَ وَتُفْجِلُ
 الْأُمَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِمَا تَطَّاءَ غَيْرَ الْأَنَامِلِ . أَلْتَجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
 أَلْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنُّضَادَةِ نَوَاطِرُ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
 بِاللَّيْلِ أَرْذِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
 رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَرَّةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرَسِ فَرَفَعَتْ إِلَى
 أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لِكَمَلِ الدِّينِ الْحَاجِي) ١٦١
 اعْتَمَدَانِ وَهَبَ بِقَلَمٍ صُلْبٍ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَاذُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيحًا
 تَسَاقَطَ فِي أَنْقِرَاطِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَلِ الْأَلَاكِ نَظْمُهَا وَنَثِيرُهَا
 تُقَوِّدُ أَيْتَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاةِ نُورُهَا
 تَظَلُّ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَفْنَا وَتُخْضِي أُمُورُهَا

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي الْأَطَافِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الْغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَرَاهِمِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَنْحَسَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَمْنَحْنَا بِالْوَزِيرِ رُكَّابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ . أَعْطَانَا
ثَبَّتَ رَحْمَتُكَ الْإِمَامَ بِثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوُفُودَ طَلَافَةً وَمَنَامَةً . وَأَنَا كَعَيْنٍ مُهْنَدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غَيْثًا مُرْعَا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَشَفَّ وَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَجَرَ أَبُو عَبَّادٍ وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرَّانَا أَوْ صَفَعَانَا وَنَحْنُ . فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لَا بَنَ الطَّيْطَقِيُّ)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا .
عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ نَابَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُؤْسَ الْجَاهِلِ أَبْنَانِي وَأَمَّا الْوَالِدُ النَّهْيُ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَضَحَّتْ خِلَالَ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي الْمِلْمَاتِ الصِّعَابِ
كَسَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَأَوَى غَرَابَ مَنْطِقِي بَعْدَ اغْتِرَابِ
وَكَنتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ تَحَابًا فَأَنْتَ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَيِّبُ

قَالَ آخِرُ فِي فِتْنَةِ الْمَرْوَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا لِمَا تَبْكِي أَلْفَتَاةُ
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاثُوا

قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرُ فِي الْمُوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصْنُهُ فَهَا هُوَ مَخْتَوْمٌ لَكُمْ بِخَتَامِ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَاكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنْشَدَهُ :

أَبْرَ فَمَا تَرْجُو الْجِيَادُ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَاقُ الْأَضَامِمِ جَعْفَرُ
وَزِيرُ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثُ أَشَارَ بَمَا عَنْهُ الْحِلَافَةُ تَصْدُرُ

فَقَالَ جَعْفَرُ : أَلْتَشِدُّنِي مَرِئَتَاكَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَأَنْشَدَهُ :

أَقْنَا بِالْبَلَامَةِ أَوْ لَسِينَا مُنَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى قَرَعَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَرَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٌ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُشَبِّكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازَنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يُذَكِّرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتُ مَكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَبُّدُ بِهِ سِجَالًا
 فَجَمَلَتِ الْعَطِيَّةُ يَا ابْنَ بَيْحَى لِسَادِيهِ وَلَمْ تَرِدِ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالًا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ بَيْحَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ أَنْبَرُ مَكِّيَ لِكُلِّ مَالٍ تَجَبُّدُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالًا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدْبَرِيِّ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : ائْمُضْ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلَّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْفُجِيعُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَّشِيدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَمُّ الْوَلَاةُ
 قَتَلْنَا أَكْثَرُ الْمُتَقَلِّينَ طُرًّا وَمِنْ كَفِّهِ دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ
 فَهَلُّوا يَقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
 فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبَتِي الْمُومُ الشَّاعِلَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشْطِطَنِي الصَّلَاتُ
 فَتَضْلُعُ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَضْلُعُ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَصَحَّحَ وَأَسْتَظَرَّهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصُّوْلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
 فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ :

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَاتَّكَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَأَسْتَبْشَرَ الْمَلِكُ بِمِالِدِهِ
 وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
 كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
 فِي مَخْلَلٍ تَحْقُقُ رَأْيَانَهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاحِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الانغاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غَلَامَانِهِ مَاءً . فَيَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِثَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ . فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أَمَالٍ مَعَ غَلَامَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ .
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَنْ بَنِي زَائِدَةَ .
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكِّبُ فِي السِّهَامِ نُصُولَ تَبْرِ وَيَرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلِلْمَرْضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَحَارِبٍ مِنْ فَرَطٍ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَسَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيِفَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارُبُ وَالْعَدَى
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنَ الذَّهَبِ الْبَرِّ صَيِفَتْ نُصُولُهَا
لِيَنْفِقَهَا الْحَرْوُحُ عِنْدَ انْقِطَاعِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَبِيلَهَا

الحسين بن الضحاك - د التوكل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقُ فَمَاتَ فَتَقَطَّعَتْ أَرْزَاقُهُ . فَقَالَ يُخَاطَبُ الْمُتَوَكِّلُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَبِيهَكَ الْمُعْتَزَّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا أَبْنَ الْخُلَافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخِّرِينَ
 إِنَّ أَبْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَا أَيَّامُ تُخْتَرِمُ الْقَرِينَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةٌ بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّينَا
 وَهَيَّرَ عَبْرَى خِلَا فِ اقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَا
 أَصْبَحْنَ فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثِ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةُ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمْنَنْ بَرْدَ جَمِيعٍ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَا
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمَلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَا
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ :-

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسَامُ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَدَهُ تَعَاقَبُ الْيَاسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

الباهلي والرشيد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَاجِي مِنْ بَاهِلَةٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءُ
 يَمَانٍ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قَوْذِيهِ . وَأَرَاخِي لَهَا عَذَبَةٌ مِنْ خَلْفِهِ قُتِلَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ . وَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَاجِي خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَتَدَفَعُ فِي شَعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَاجِي أَتَسْمَعُ مُسْتَحْسِنًا وَأُنْكِرُكَ مُتَّهِمًا . فَقَالَ لَنَا
 بَيَّتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمُونَ ابْنَيْهِ وَهَمَا
 حِفَافُهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْهَرْدِدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَذَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَائِي عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَوِدْنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ اعْتَذَارَكَ بَدَلًا مِنْ امْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفْسُ الْخِثَاقِ . وَسَهَلَتْ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَّ عَمُودَهَا
هَما طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْتَلْتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَنِيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمَائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خَلْعٍ (لابن عبدربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَتَذَرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرِّي فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَفْسُ الْفَصِّ فَأَخْتِمْ بِهِ عَذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنُورَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَتِمُّ سَمْعُ الْمَرْءِ وَالْبَصَرُ
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَرَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا
تَسَابَقًا فَاصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَاقِيلٍ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةُ فَبِرُّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَتَذَرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْعَفْوَ مِنْ شَيْمِكَ فَأَهْدِ لِعَذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْحَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدِيمِكَ

علي بن الحليل وزيد بن يزيد

١٧٤ وَلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ابْنٌ فَأَتَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّبَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
حَتَّى نَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالْأَسْوَالِ
وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنِيَ شَرُّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ نَحْتِ الْعَوَالِ
كَمَا كُنَّا نَا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَمَرَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِالْفِ دِينَارٍ (الآغا نِي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَاحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَعَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبَهْجُ .
وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مِسْكِيهَا الْأَرْبِجُ . وَنَمَّاسَتْ مَعَاطِفَ أَغْصَانِهَا . وَتَكَاتَتْ
بِالْأَلْيَةِ النُّطْلَ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرُنُبٍ يُعْرَدُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عُمْدُ بَغِيرٍ وَنُطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَنَا مِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِيسٍ بِالْمُهَدَّبَةِ فِي الْمِدَانِ وَقَدَرَمِي بِالنَّشَابِ فَصَنَعْتُ فِيهِ بِدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ حُلِقَتْ كَعْمُهُ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ النَّجُومَ الزُّهَرَ مَعَ بُعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمْنَى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنَشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخَطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْرَضَاهُ فَأَمْتَمَعَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ أَمَّاؤُ وَلَا
فَكَمْ أَرْتَجِيكَ فِي أَيْتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلَهَا أَحَدٌ فَنِلْتُ السُّوْلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَالِيكَ دَلِيلًا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُكِي يَزْدَادُ عَفْوَكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلًا
فَالْعَفْوُ أَجَلُ وَالنَّفْضُ بَأْمَرِي لَمْ يَعْدِمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبِدَائِعِ لِلْأَزْدِيِّ)
١٧٨ وَشِيءَ ابْنُ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَمَجَّاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَلَا غَرْوَانُ تَغْفُوا وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ غَدَا يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجُرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُبُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّائِدَعَانِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَتِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلْدُ الْأَزْهَارُ غَيْرَ الْكَمَانِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورٍ سَمِعْتُهُ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمٍ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَّلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :
 يَا مَنْ حَوَى كُلَّ نَجْدٍ بِجَدِّهِ وَبِحِدِّهِ
 أَتَاكَ نَجْلُ خُرُوفٍ قَامُنٌ عَلَيْهِ بِجَدِّهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

بَدَسَ الْفَرْعُ عَنْ أَوْصَائِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرْفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِثْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَيِّ الْوَلِيدِ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءُ عَجَاجِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النَّفْسِ يَحُومُ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونٍ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطَوْدَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْرِفُ
 عَبْدَكَ بِالْبَابِ فَكُلْ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ
 ١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُذَيْلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْعَفِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَابِرٍ إِذْ غَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوَى جُذَاذَا
غَيْرُ صَاحِبٍ أَحْمَرٍ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ اَعْتَاءَ صَحٍّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّي بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ أَمِيتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنُ الْقَرِيَّةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِي
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَوَحَّ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَكُنْتُ بِهِ وَعِرْسُكَ فِي نَعِيمٍ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي
إِلَى أَنْ قَاتَكَ الثُّلُثُ الرِّبِيحُ
١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْقَفَّحِ بْنِ أَبِي الْقَفَّحِ الْمَعَرِيِّ فِي الْمُرْقُصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبَا
لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ زَكَّاهُمْ
فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِتِلْجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ فِي الْمُرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرْتُ عَنْكَ مَدَانِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَأَغُ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى النَّجْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الرَّسِيبِيُّ لِرَأْسِ قَطْعٍ عَنْهُ إِحْسَانُهُ فَقَطَّعَ مَدَحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَيْنَانِكُمْ فِي دَوْحِ مُجْدِكُمْ أَقَوْمُ وَأَقْدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَصُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُعْرِدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرَّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ عَدَا لَا فَرَّقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدًا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالَصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فُؤَادًا كَذَتْ نَوَاسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُفُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنٍ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدًا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الْفَضْلُ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَسَرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرَ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُخْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبَقَ لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

أَلْبَابُ الْعَاشِرِ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشُ رُوحُهَا. وَقُرَيْشُ رُوحُ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلُبُّهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَضْحَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلُبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غَضَرٍ شَرِيفٍ. وَالطِّينَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَلِيُّ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَبُوعُ الْعِلْمِ. وَتَمْهَلَانُ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسِّيفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ. مَعَ الْأَنَانَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمَهْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلَمَاءُ الَّذِي لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلْتَمَسِ الْبُحْرَى لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلَذَهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلَنَجْمٍ لِلْحَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمَانِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَادَ فَتَقَاتَهُ وَجْهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَهْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعَّتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَنْعَبْتَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأَيَسْتَ أَنْ يُعَايَنَ مِثْلَكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيمَا بَقِيَ فَلَا تَرْجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصَبَ لَنَا
 جَنَابَكَ وَعَذَابَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتِ نَظْرَتُكَ . وَكَرُمَتِ مَقْدَرُتُكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَالْحَزِيرُ بِفَنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلَوَائِكَ . وَالْحِذْلَانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَادِكَ .
 وَالْأَيْرُ فِيمَاكَ . قَدْ طَلَحْتَ عَدُوَّكَ غَضَبَكَ . وَهَزَمَ مَغَانِيَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَذْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَمْرُكَ . الْأَذَى عَطَاؤُكَ . وَالذَّوَاءُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ
 (لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إِنِّي لَمَّا أَرَفِي كُتُبَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 النِّجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَأَكْثَرَ تَعَمُّدًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنُكْتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مَضْجَعَهُ . وَطَيْبَ مَجْمَعِهِ . إِنْشَاءً فَآخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجَزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْزِزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَبِأَخْرَجَ مَقْبُولَ النَّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ بَنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاطَبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَبَانًا

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُعْضَلَةِ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلَا دَلِيلٍ ... (المطري)
١٩٢ قَالَ الْبَرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْهَقِّي ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رَبًّا وَالزَّمَانُ جَدِيبُ
هُوَ الْكُوزُ الْقِيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَجْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
غَمَامٌ يِعْمُ الْخَلْقُ ظِلًّا فَسَائِلًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتُ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوَمِلُ مِنْكَ الْبَرُّ وَالْبَرُّ وَاسِعُ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمُّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَامِلِنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ أَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتُ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ غَضَنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتُ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَتُوبُ
١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَرِّقِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوِيَ وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَفَّةٍ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطَقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالْأَسْرُورِ فَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَفَّيْتُ فِيهِ بِالْذُّورِ
لَمَّا أَتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْقَوَا دِوَابِنِ مُكْتَبِ الصَّيْرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْعَطَبِ الْخَطِيرِ
كَأَنْتَ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقٍ بِالذَّمْعِ الْفَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَّ رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لَكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ أَوْ عَلَيَّ عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
أَلْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَّ مِ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَأَلْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَالِ فَهُ وَهِيَ أَرْضِي مِنْ تَبِيرِ
قَدْ حَالَ قَتْلَكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِلْفَتْحِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ يَخْضِ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ . فَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مَعْنَى بَنٍ زَائِدَةً بِقَصِيدَتِهِ أُنْتِي أَوْلَاهَا :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنُّجَبِ
فَتَى زَارَ وَكَلَّهَا وَأَخِي أَوْ جُودَ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كَتَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ الْوُضُيْنُ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُطْفِئُ زِينَتَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِأَلَا حَطَبِ

لَيْتُ بِمُخْتَفَانِ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَرَا بِهُ فَهَمَا شِبْهَاهُ فِي جِدِّهِ وَفِي لَمَبِ
 قَدْ وَمَقَا شَكَّاهُ وَسِيرَتُهُ وَأَحْكَامُ مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ أَلْقَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاوِيِ الْخُصُومِ لِارْتِكَابِ
 تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنُّهَى حُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَا حِمِ اللَّهِ
 سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَإِذَا قَلَّ بُدَاهُ الْوَفَاءُ وَالْحَسَبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبُوتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَبْذَلْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُخْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

تَمَنَّا مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبِ لِصَاحِبٍ مَعْنٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَائِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْلِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطَفْتَ حَتَّى تَخْلَصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَلَّهُ
 (الآغا نِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَمْدَحُ آلَ فُرَيْعُونَ :

بُنُوفُ فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خَلَقُوا مِنْ سُودٍ وَعَالَا وَسَاوَرُ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالِ
 مَنْ آتَى مِنْهُمْ تَقُلْ هَذَا أَجْلُهُمْ شَانَا وَأَسْحَمَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عَنْدهُمْ دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
 أَفَادَنِي الْمَلِكُ الْيَمِينُ طَلَبَهُ عِزًّا وَالْبَسَنِي سِرْبَالِ
 وَاشْتَقَّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَهَا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَآمَالِي
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ فَإِنَّ ذَاكَ لَيَحْزِي لَا لِإِغْفَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ :

أَبَا نَضْرٍ نَصِرْتُ عَلَى الْأَعَادِي وَصِرْتُ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
 بِرَأْيِي يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَامَا وَعَزَمَ نُجَيْلَ السَّيْفِ الْحَسَامَا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَا لَهُمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عُمِلَتْ أَلْسِنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا وَهْيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جِدُّ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 رَيْنُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا قَدْ رُبِّتْ يُجْجُمُ اللَّيْلُ آفَاقُ الْفَلَكَ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ فَنَادِ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ يَسْمَعُ
 بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنَزَلًا لَهُ فَوْقَ أَكْثَافِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَوْضِعُ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمٍ الْكُرْبِيَّةِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَلْمَعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْغَيْثُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ يُثْقَلُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْيَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ لِيَشْبَعُ

مَنَاقِبَ فِي الْجُلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبِعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

رَكَ الْمَنَابِرُ وَالسَّرِيرُ تَوَاضَعَا وَلَهُ مَنَابِرُ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرُ
 وَلِنَعِيرِهِ يُجَبِّي الْحَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجَبِّي إِلَيْهِ حَمِيدٌ وَأَجُورُ
 ٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْأِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى بِلَلِ الْأَرْيَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا لَا تَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضْنَا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي التَّوَائِبِ رُكْنَا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَتَّى فِئَالًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَمَحًا وَإِذَا مَا هَزَزْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَا أَسْمَاءُ أَخْضَبَ وَادِيَهُ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَعْنَا
 نَزَعْتَ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَنْجَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَذَرُهَا
 حُسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلَ مِضَاوِهِ وَصَفْحَةٌ صَفَحَ لِلذُّنُوبِ أَعْتَظَرُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُنَجِّي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هَيْجِ الْحَرْبِ تَوْقَدُ نَارُهَا
 أَنَايِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ نَوَاضِرٌ وَطَوْرًا سُيُوفٌ دَامِيَاتٌ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يُمْدَحُ غَسَّانَ حِينَ أُرْتَحِلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكَتَهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةً الظُّلَمُ
هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوْدَاءِ وَالنَّعَمِ
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْمُعَقَّةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَثَمِ
٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَائِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي تَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَاقَتَيْهِ وَقَامُوا
فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصُّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَطْلَمْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . قُوْهَبَهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَامَتْنَا هِبَاتُهُ فَتَرُّ الْعَطَامِنُهُ وَنَظْمُ الشُّنَامِنَا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُشِّي لَهُ لَفْظًا فَيْشِي لَنَا مَعْنَى
٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ابْتِمَانًا
وَمَنْ وَفَّ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتٍ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانٍ
لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعَقِّلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَثَابِيبِ هِنْدِيٍّ وَحَبْسِ عَنَانٍ
٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْبُخَيْرَوَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَخْفِلْ بِحَادِثَةٍ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَجِدُ مِنْ أَلْسَامِهِ رَأْلًا فَوَاهٍ وَالْمَقْلُ
٢٠٨ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَيِّهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
حَقِّ الْوَالِدِ بِنِزَادَةِ مَدْحٍ لَا يَتَمَقَّصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمًا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً أَنْفَخَرِ
وَهَمًا وَقَدْ بَرَزَا كَكَيْسٍ هَمًا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّاءَ عَلَى وَكْرِ
بَرَقَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَانِهِ يُجْرِي
أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :
قَوْمٌ أَبَوْهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَلَسُّهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَابِيهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعَدُوا
وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ قِيَاضُ يَدَاهُ عَمَامَةٌ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَقُبُّ فَوَاضِلُهُ
أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ
٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمُجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَسْبَحَ تَخْرُؤُ نَاوَكَبِ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ
٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخُبْرَا
إِلَى الشَّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ
لَيْتُ يُلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وَاقِفَ الْقَدْرَا
يَا حَامِيَا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
مِنْ قَارِسٍ لَا يَخَافُ الْبُؤْسَ وَالضَّرَرَا
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُذَرِّكُنَا
وَمِنْ دِمَاهُمُ تَرَوِي الصَّارِمَ الذِّكْرَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دُلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قَرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلِ رَجُلَا
عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
الْمَنَاسِيَا فِي مَنَاقِبِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَى أَنَا إِلَهُهُ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلًا عَنْ مَوَاهِبِهِ
كَأَنْبِسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
بَيْنَ بَادِيهِ وَتَحْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
وَمُدِيلَ الْيَسْرِ مِنْ عُصْرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَقَرِهِ
وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
كَصِيَاحِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجْبَرِهِ
زَرْهُهُ وَالْحَيْلُ عَابِسُهُ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عُصْرِهِ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلِشَرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
قَدْ تَأْتَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ قَابِي الْحُتُومِ مِنْ قَدَرِهِ
فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُلْفٍ
وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَ اثْنَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ):
فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
تَبْكِي . قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْأَغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمُدْحِ:

أَهْلُ بَانَ يُسَعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى وَيَذَارَ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
فَلَقَدْ غَدَا بِالْأَكْرُمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَنَحْتَمًا وَمُتَوَجًّا
٢١٥ قَالَ الْمُنْتَهَى يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

صَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَجْرُ فِي نَحْلٍ
٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَسْبَغَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمِشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَنْ ضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشَهُمْ
يَضْعَفُ قُوَى عَمَلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدِ
دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :

(ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرِقُ شَمْسًا
وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفًّا وَمَعْنَى
وَمُحَامِي لَيْثًا وَتَهْلُ بُرْنَا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
فَلَيْسَ تَرْحَلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
٢١٩ قَالَ أَبُو الْقَرَجِ الْأَبْغَاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ النِّعَمَاءُ عَمَامُ
فَهَذَا يُذِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنْعُ
وَعَزْمُكَ إِنْ قُلَّ الْخُسَامُ حُسَامُ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطُّبَى
وَذَاكَ يَرُدُّ الْحَيْشَ وَهُوَ لَهُامُ
وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي نَجْلِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
كَمَا جَمَعَ التَّفَاحُ شُكْلًا وَبَهْجَةً
وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ قَوَاقَا
وَرَأْحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا

٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحُسَيْنِ يمدحُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلِيعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
إِذَا ذَكَرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
فَتَدَسَّرَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَّالُهَا
فَهُمُ الْأَنْجُمُ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهَا

٢٢٢ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلْبُورٍ :

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
تَبَلَّى الْكِرَامُ وَآثَارُ الْكِرَامِ وَمَا
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ الْخَزَاعِي :

عَشِقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا
وَأَوَّامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
بَثِّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوَّةَ :

قَوْمٌ إِذَا أَفْتَحُوا الْعِجَاجَ رَأَيْتَهُمْ
لَا يَعْدِلُونَ بِرَفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ
وَإِذَا زِنَادُ الْحَرْبِ أُخِذَ نَارُهَا
٢٢٥ قَالَ أَلْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْخَجْدُ مُتَلَدًا
لَا يَنْطَفُونَ عَنِ الْفُحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَا قَيْتَ سَيِّدِهِمْ
٢٢٦ قَالَ الْخَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيٍّ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْلَانَ وَطَائِفَتَهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاةِ

- ٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :
أَنَا أَشَعْرُ الْفَقَهَاءِ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّمِ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِلْقَاءُ
كَالْصَوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوِبِ الْأَصْدَاءِ
- ٢٢٨ قَالَ الْأَعَاذِيُّ الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْغَسَّانِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :
جَلَّتْ لَدَيَّ الرِّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هِمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءُ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شِمَّتِهِ صَرَفَ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ الْيَاقُوتَ مُخْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبُهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
وَلَا تَعْرِفُكَ أَطْمَارِي وَقِيمَتَهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجُومِ عَنْ صَفَرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ
- ٢٢٩ قَالَ عَنَرُ تَيْهَدَّ هَوَازِنَ وَجْشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :
سَكَبْتُ فَعَرَّ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُونِي لِأَهْلِي قَدْ كَسَيْتُ
وَكَيْفَ أَنَامَ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِّيتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفٍ حَدَهُ مَوْجُ الْمُنَايَا وَرُخَّ صَدْرُهُ احْتَفُ الْمَمِيتُ
خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلَبْتُ

وَأَيُّ قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلاً
فَمَا لِلرَّخِ فِي جَنِينِي نَصِيبٌ
وَلِي بَيْتٌ عَلاً فَلَاكِ الثَّرِيَا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَمْرٍ لَا يُعَادِي
وَأَظْهَرَ نَضَحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِأَلْنِي قَلْبًا عَلِيلاً
تُعِيرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
وَحُضْتُ بِمُفْجِئِي بَحْرِ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيْفِي مُرْهَفُ الْحَدَيْنِ مَاضٍ
وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعْنَةً
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُحْمِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مُعَدْيِ كَرَبَ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُنَزَّرٍ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
وَمَنَاقِبُ أَوْزُنْ مَجْدَا
بِفَةٍ وَعَدَاءُ عُلْدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَشْدُ الْيَضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَقًّا وَقَدًا
كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بِنَا أَسْتَعْدًا
نَازَلْتُ كَنْبَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ نِزَالِ الْكَنْبِ بُدَا
هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَأْسًا أَشَدَّا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَهُ بِيَدِي لِحْدَا
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَعْتُ وَلَا يَدُّ بَكَايَ زَنْدَا
أَلْبَسْتُهُ أَتَوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلَدَا
أُغْنِي غَنَاءَ الدَّاهِيَةِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ قَرَدَا

٢٣٢ قَالَ عَنَتْرُ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ :
أَطْوِي فَيَا فِي الْفَلَاوَالِيلِ مُعْتَكِرُ
وَلَا أَرَى مُوَسَّاءَ غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ
فَحَازِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ
وَرَأْفَتِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً
مَا خَالِدٍ بَعْدَ مَا قَدْ سَرَتْ طَالِبُهُ
وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسُهُ
وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ :

وَإِنِّي لَأَسْتَعِينِي فَمَا أَبْطَرَ النَّعْيَ
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْذِرُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمْنَحُهُ مَا لِي وَوَدَّيْ وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا أَمَرُ نَابَنِي
وَلَسْتُ بِإِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تَغَيَّرُ شَيْئِي
٢٣٤ وَلَعَنَتْرَةً فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعَ مَا أُسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكُ الْمَنَازِلَ وَالْإِقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْبَرَاقِعَ وَالْأَلْفَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذَّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَلَسَى التَّرَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَآيَا
وَسَيُنِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيِّبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبِرْتَ عَنْهُ
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنُضْمَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا
وَمَتَى نَخْفُ وَمَا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَوَاصَعَدَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَتُؤَيِّنُ فَأَعْلَمْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَابٍ
فَنَقْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثَا حَمِيهَا
وَتَحُلُّ فِي دَارِ الْخِفَاطِ بُيُوتَنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَتْرَةُ الْعَبْسِيِّ :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدَّهْرَ
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفْتُ فِي اللَّهِ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تُلْمِي بِبَالِي
رَوَّافِي مِنْ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ
رَحَّتْ عَنْهُ الْفُرُونُ الْخَوَالِي
لِ هِدَايِي وَرَدَّيْنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَاسَارَ الْإِسْرَى الْبَرْقِ وَرَأَاهُ مِنْ أَفْدَاحِ النَّعَالِ
أَذْهَمَ يَصْدَعُ الدُّجَى سَوَادٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
وَإِذَا فَمَ سَوْقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمَرْهَفَاتِ الصِّقَالِ
كُنْتُ دَلَالَهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْعَوَالِي
يَا سِبَاعَ آلِهَةٍ إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ أَتْبَعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي
ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَا وَاشْكُرْ بِنِي سَائِلَاتِ بَيْنِ الرَّبِّي وَالرِّمَالِ
وَأَذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي لِيْنِكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ :

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبَ أَوْ تُرْذَهَا تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودَا
وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنَا وَالنِّهَا إِبَاجِي الْخَيْرِ عَوْدَا
وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُودَا
إِذَا نُدْعَى لِسَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِدِيدَا
مَتَى مَا نُدْعَى فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعَمُّ وَلَا وَحِيدَا
وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍ وَتَمِ الْلَاتِ قَدْ لَبِسُوا الْحَدِيدَا
زَعَمْتَ أَنْكُمْ نِلْتُمْ مُلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنَّنَا نِلْنَا عَيْدَا
وَمَا نَبْنِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَزَا وَقَدْ نِلْنَا الْمَسُودَ وَالْمَسُودَا
٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَائِفِ
 مَلَكْنَا أَلْعَوَالِي بِأَمْعَانِي فَجَارُنَا
 وَرِثَاعِنِ الْأَبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَائِهَا
 تَوَمَّرْنَا أَسْيَافَنَا وَرِمَاحُنَا
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ كَعَبَةٍ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْشُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ
 وَسَوْفَ نَجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا
 ٢٢٩ قَالَ الْفَرِيطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَنُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ
 لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
 يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
 كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقِ لِحَشِيَّتِهِ
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَثَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ
 وَحُسَامِي مَعَ قَتَانِي
 إِنِّي أَطْعَمُ خَضْمِي
 أَسْفِهِ كَأَسِ الْمَنَآيَا
 غَيْرُ مُجْهُولِ الْمَكَانِ
 لِمَعَالِي شَاهِدَانِ
 وَهُوَ يَقْظَانُ الْجَنَانِ
 وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانِ

حُلِقَ الرُّنْحُ إِكْفَى وَالْحُسَامُ الْهُندُوَانِي
 وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
 وَالذَّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ وَآنِي
 فَاسْتَبَانِي وَاسْتَبَعَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْبُرَ بَانِي
 أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُندُوَانِي
 وَصَرِيدُ الرُّنْحِ جَهْرًا فِي الْوَعَى يَوْمَ الطِّعَانِ
 وَصِيَاخُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانٍ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَقْرَعُ بِالْقَنَا
 وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ اتَّتَا عَصَابَةً
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي
 فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلٍ
 يَقُودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ
 جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانَ فَإِنَّهُمْ
 مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ
 وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ
 إِذَا كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ
 فَوَارِسُهَا حُمْرُ الْعُيُونِ دَوَامٍ
 غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْعِرَاضٍ قَتَامٍ
 ذَوُو تَجَدَّاتٍ فِي اللَّتَاءِ كِرَامٍ
 فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِيَامٍ
 نَدَاةُ الْوَعَى مِنْ شَانِكَ وَسَنَامٍ
 سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُجَاهِي
 سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامٍ
 تَبَّتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامٍ
 سِرَاعُ إِلَى الْهَيْجَاءِ بِكُلِّ حُسَامٍ
 أَقُولُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامٍ

٢٤٢ وَمِنَ الْعُجْبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عُبَيْرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْرِ
 لَتَرَى أَنَايِبَ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تُجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَذْرُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ بِمَوْتِهِ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ بِرُقُوقِ
 السِّيفِ وَالرُّمْحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلِيكََا
 إِذَا التَّقِينَا مَجْدَ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثَابْتَ فَأَمَرَ اللَّهُ آتِيكََا
 بِخِدْمَةِ الْحُرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَّفَنَا فَضْلًا وَمُلْكَنَا الْأَمْصَارَ تَمْلِيكََا
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوْدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُشِيكََا
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ مُخْلَدًا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَخْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أُمِدَّ لَهُ يَدَا
 تَوْفُدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةَ حَامِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِرْدَا
 وَفَرَطُ احْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودِي سُدَى
 وَيَأْبَى إِبَانِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
 وَأَظُنُّ أَنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْحَجَرَةِ مَوْرِدَا
 وَلَوْ كَانَ إِذْرَاكَ الْهُدَى بِتَذُلِّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
 وَقَدَمَا بَغِيرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَبَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَأَطَى الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتَ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلَ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أَثْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لَا يَبِي الطُّحْمَانُ الْقَيْنِي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا سَوْدٌ
٢٤٦ لِحَسَنَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَزَوَّرُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمُهْمَ خِطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
آبَاؤُنَا أَلْزَمُوا مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَىٰ عِلْمًا فَأَتْنِي عِلْمٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ.
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَىٰ بْنُ يَتِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَىٰ فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمٍ
وَسَلَ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَابِ الرُّكْبَانِ فِي الْيَدِ تَرْتَمِي
وَرَبَّتْ مَا غَنَىٰ بِهِ كُلِّ سَاجِعٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ
وَضَعْنِي قَوْمِي لِأَتِي لِسَانَهُمْ إِذَا أَتَحَمُّمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَالَبَنِي دَهْرِي لِأَتِي زَنْتَهُ وَأَتِي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَهْمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَىٰ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَىٰ الْإِلَهِ وَالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاطُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَتَةٍ إِنْ الْخَلَائِقُ فَأَعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَىٰ سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرَقُّ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَنْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَتْهُمُ أَهْلُ مَجْدٍ بِالنَّدَىٰ مُنِعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا ضَوْؤَ وَلَا هَامُ
وَلَا يَضُنُّونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يُسْجَدُ لِعِبِيدِنِ إِلَّا بَرَصُ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْمَاتِنَا جَاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا فَسَلْ تُبًّا أَيُّهَا السَّائِلُ
سَائِلُ بَنَاتِ حُجْرٍ غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحِجَى يَوْمًا إِذَا انْفَحَتْ الْحَائِلُ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ آئِدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَاعِلُ
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعَالُهُ فَعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
لَا يَحْرُمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعْقِي سَيْبَهُ الْعَادِلُ
الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَتَبُ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَاتِ بِهِمْ شَهَابٌ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارٍ
وَرَوْا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبٍ إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَنْعَمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلَامِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
الْحَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْأَيْدَاهُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرَاطُ وَالْقَلَمُ
٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخِلَافَةَ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مَا لِي آفَةٌ سِرْوَى نَقْصِ تَمْيِزِ الْمُعَانِدِ فِي نَقْدِي
وَرَبِّ جَهْمُولٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي وَيَتَبَخَّرُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي النُّجُودِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدَّعِي الذِّكَاةَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ حُلِقْتُ وَفُقْتُ كُلُّ النَّاسِ فَهَمَّا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْمَأَكَّ حَتَّى صِرْتَ فَحَمَّا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بُحَيْلٍ :

يَرَاةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيزُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكُفَّ مُقْتَسَا
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعْصَا مُوسَى لَمَا أُنْجِسَا

٢٥٦ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي آخِرٍ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا نَحْرُهَا رِيحُ الْمَدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغْدَى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْخُسَامُ
لَنْ وَضِعَ الْحِوَانُ وَلَا حَ شَخْصٌ لَأَخْطِطَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْنَحِ اللَّيْلِ رِجْلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكُ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتِكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةُ الْأَعْيَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْقِرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْقِرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَلْبِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أَوْحِيَ النَّفْثُ إِلَى نَفْطَوِيَةٍ مَا كَانَ هَذَا النَّفْثُ يُزَيِّ إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ يَنْصِفُ اسْمَهُ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِي فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتُ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ الْأَهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ مَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِذْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثْرِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَقَاءٍ وَبَيْنَ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مُهَذَّبَ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُوجَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَهْجَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعَمَلَا
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ قَلَّتْ عِنْدَهُ حِيلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَذِرِي لِلرَّدَى حِيلًا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَّاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِّهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِالْأَعْلَقِ تَبْتَاعُ بِالْدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَبَرْتَ دِينَكَ شَاهِنًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلُحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضْنُوا وَتَبْخُلُوا
مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا وَنِيرَانُكُمْ بِالْشَّرِّ فِيهَا تَحْرَقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا فُرَيْشُ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكْنَا وَدَوَّ الْجَدِ يَسْقُ
تُحِيطُونَ خَلْفَ أَتْقَوْمٍ سُودًا وَجُوهُكُمْ إِذَا مَا فُرَيْشُ الْأَضَامِمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لَأَوْمٍ طَابَ مَا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى الْأَوْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يُجُوبُ بِأَلَدِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْفُجَرِ الْمُتَمِّمُ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:
أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَابٍ يَفْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَأَفْرِ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبَطَّاهُ جَوْشَمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :
 أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِفْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
 وَظَلْتُ أَبْيِي لَكُمْ عَذْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِظُونَ وَقَدْ نِمْتُمْ عَنِ الْكُرَمِ
 فَلَا حَافِيَةً كُمْ يُجَنِّي بِهَا نَمْرُ وَلَا سَمَؤُكُمْ تُنْهَلُ بِالذِّمَمِ
 أَوْعَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَفْعَى وَأَعْجَزَنِي نِيلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَتَيْتُ بِالنَّدَمِ
 ٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِي يَهْجُو أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاجِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ خَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيْبَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ
 كَمْ تَدَّعِي بِمَعْلُومِ النَّجْمِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النَّجْمِ وَالْقَعْرِ
 ٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَدَارِبَةِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
 أَنَّ الْبَرَّاءَ أَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُغَزِّي فِي خَاتَمِ لِصَفْدِي :
 وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجَّتِهِ كَأَنَّهُ مَلَأْتُ نَجْمِ الدَّجَى فِيهِ
 حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا مَا قَالَتْ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ
 ٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

وَطَائِرٌ فِي وَكْرِهِ نَانِمٌ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مِتْقَارِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الْقَارِ كَيْ يَأْخُذَ بِالْمِتْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَافَةَ مُلْغَزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّمَا تَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمَعُ عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًّا لَمْ يَكُنْ يُبْرَادِهَا
أَرَادَ فِي أَلَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزَا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ شُحُوبُهَا تَكْتَفِيهَا عَشْرُ وَعَنْهِنَّ تُخْبِرُ
يَلْذُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَخْرُجُ جَاشٍ مَخْرُجُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ الْأَلْغَازِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغَزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَنَظَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلُ وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِالْحِمِّ وَلَا رِيْشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

بَطْنٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارُ
وَأَنْفَذَا الْغَزْنَ إِلَى إِلَيْهِ. فَكُتِبَ عَلَى الْأَوَّلِ: هُوَ طَيْفُ الْحَيَالِ. وَكُتِبَ
عَلَى الثَّانِي: هُوَ الزَّبَقُ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: هَبِ الْغَزَّ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْحَيَالِ وَالَّتِي الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ.
فَقَالَ: لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالضَّحْكِ.
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ. وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنَعَةِ الْكِيمْيَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْقَرَارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْاسِبُ صِفَتَهُ. وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ. وَلَا فِرَاطَ بَرْدِهِ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمُهُ. وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي افْتِرَاقِهِ وَالْتِسَامِهِ.
فَأُعْجِبَا مِنْ ذِكَايَةِ وَتَوَقُّدِ عَقْلِهِ
(لَابِن حُجَّةِ الْحَمُوي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفَدِيُّ فِي الْمَدَامِ:

وَمَا شَيْءٌ حَشَاةٌ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ

إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمْعُ يَكُونُ الْخَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاةُ

وَإِنْ أَهْمَتَ أَوَّلُهُ فِفْعَلُ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَعْتَانُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِّ فِي شِعْمَةٍ:

صَفَرَاهُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ مَرْزُوزَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ

كَأَنَّهَا عُمُرُ أَلْفَتِي وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرَى:

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَابُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاهَةٌ رَثِيمَهُ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَتَرَبُّعُهُ خَضِبُ
 بُرَى مِنْ خَشَّاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَبِّلُ الْخَجْبُ
 شَيْئًا لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
 ٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي النَّجْرِ :

وَحَالُ أَثْقَالِ الْبَرِيَّةِ قَادِرٍ وَيَخْزِي إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
 يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رَجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
 ٢٧٩ لِآخِرِ فِي الْفَكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يَجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُنْصِرُ مَا أَرَادَ يَغْيِرُ عَيْنَ
 يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كُودٍ وَمِنْ
 ٢٨٠ لِلْمُتَتَّبِعِي فِي الْحُمَى :

وَزَائِرَةٌ كُنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظُّلَامِ
 بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
 يَضِيقُ الْجُلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
 ٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَّةَ
 كَتَبَ إِلَى وَالِدِهِ مُلْفِزًا فِي بَابِ يَقُولُهُ :

مَا وَاقِفٌ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
 لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَرِّجُ
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَنَمِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
 بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ أَلْقَاهِي نُجَيِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُنْغَزَا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ رَأَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكَتُبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوتَرُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَرَأَاهُ بَانَ تَضَيُّعُهُ لِمَنْ يَتَرَمَّقُ
 فَأَجْبَنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَالَةِ الْفَضَائِلِ تُسَبِّقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشَقَ الْخُرُوسَةَ مُنْغَزَا فِي فَاحِشَتِهِ:
 وَمَا طَارَتْ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهُهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْنَانِهَا وَيَنْزِدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَأُخْتُهِ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ غَنِيَتْ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْغُرُورُ وَرَدَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَّيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ مَرَقَاهُ سِمَاكَ وَفَرَقْدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالِكَ عَنْ أَنْثَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَزَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَنْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ النَّصَائِي لَا أُطِيقُ أَفْدُ
 وَمَذْبَابَ مِنْهَا الطَّرْفَ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوَّلَهَا مَعَ مَا يَلِيهِ وَطَرَفَهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عَزْلُكَ بَادِخٌ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لِوَأَوَّلِكَ يُعَقَّدُ
 فَخَذَهُ مِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلْنَزَا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يُلْقَى وَرَأَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
وَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تَيْجَانَا
وَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانِ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَا فِي مُقْصَصٍ قَابَنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَتْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلَيْثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَرَأَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبُتْخِيفُهُ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضْخِيفِهِ زِدْ بِتَمِصٍ فَالْمَعَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَدْرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذَرِي الْبَيَانَا
وَيُخْرِيفُهُ تَوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْقَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثُ عِنْدَهُ نِصْفُ وَحْشٍ ذَبَّ عَنَّا تَضْخِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَافْتَرِسُهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لُغْرٌ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي التَّقْصِصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَنْتُ شَدُو مُرْقِصٌ مُطْرِبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفَقٌ
وَلِتَجْمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ فَرَّتْ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجْعِ الطُّوقِ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُيُوثُ غَابَاتٍ . وَغُيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُھُودِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدْرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعْرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزْرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغْرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوْرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَعْبَرٌ . وَرَمْلٌ أَعْفَرٌ . يَحْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مَمِيونُ الْغَدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ . كَجَرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَاطِعُهَا . حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهَا . وَتَعَظَّمَتِ
أَمْوَاجُهَا . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقَرْيِ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِنَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكْصَرَ نَلِي
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَافِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مَحْشُورَةٌ يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدْلَةً . يُخْرِثُونَ بُطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَابِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ اغْنِيهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ حَتَّى إِذَا اشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
الْنَدَى . وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ لَحَابُهُ . وَيُعْنِي ذُرَابُهُ
فَيْنَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيَضَاءُ . إِذَا هِيَ غَبَرَةٌ سَوْدَاءُ . فَإِذَا هِيَ
رَبْرَجَةٌ خَضْرَاءُ . فَعَالَى اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ . فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
قَالَ : لِلَّهِ دَرْكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهَدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ . فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً .
فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ . وَمَا أَصَابَهُ مِنَ النِّعَمِ وَنَالَهُ . فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي : مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ . وَمَا الَّذِي مِنَ النِّعَمِ وَالنِّعَمِ دَهَاكَ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي . إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي . اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
دَابَّةً اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الْعَصَاةَ وَالسَّلَامَةَ . فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَتَقَبَّحُ
نَدَامَةً . وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى . وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ : لَا أَهْلًا بِكَ
وَلَا مَرْحَبًا . فَقَالَ الْقَاضِي : أَيْنَ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ . وَإِلَّا جَمَعْتِكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَشَبَةِ مَضْلُوبٍ . فَقَالَ : كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ . وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ . وَأَخْسُ مَضْحُوبٍ . إِنْ رَكِبْتُهَا رَأْسَتْ . وَإِنْ نَحَسْتُهَا
شَمَسَتْ . وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَسَتْ . وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ . وَإِنْ سُمْتُهَا
رَقَدَتْ . وَإِنْ تَزَلَّتْ عَنْهَا شَرَدَتْ . تَنُطِعُ فِي يَدَيْهَا . وَتُصَكُّ
بِرَجْلَيْهَا . حَذْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ . لَا تَقُومُ حَتَّى تَحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ .
وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلَبِ . إِنْ قُرِبَتْ مِنَ الْجِرَارِ كَمَرَّتْهَا .

وَأِنْ دَنْتَ مِنَ الصَّبَاحِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرُضُ فِي عَنَانِهَا . وَتَشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَبَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمْتَ
تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزْتَهَا شَخَّرَتْ وَنَخَّرَتْ . مَنْ أَسْتَصَرَ بِهَا
حَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَصَلَّتْهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرُضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجِلُّ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَأَنَّهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُوتَةٌ . مَلْعُونَةٌ . حُجُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتْدَ وَتَقْرُضُ الْجَسَدَ . وَتُقَتِّتُ الْكَيْدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لُشْمِيرٌ وَتَعْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأُصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْإِنْفَاسِ .
مُقَلَّمَةُ الْأُضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّأْسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشْبَهَا قَلِيلٌ . وَجَسْمَهَا
نَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْيَازِ ذَلِيلٌ . تُجِلُّ مِنَ الْهَوَا . وَتَعْتُرُ
بِالنَّوَى . وَتُجِلُّ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ شَهَاقَةٌ غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتُحْمَشُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَّانِ الْمَضِيقِ . وَتَنْقَطِعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ ذُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرَمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَأَضْعَفَ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تُخَوِّجُنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالْإِسْلَامُ (الْكَنْزُ الْمَدْفُونُ لِلْسَيُوطِيِّ)

وصف البليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَقَارِيهِ الطُّغَاةِ الْمَصَالِيَةِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَعِيدِ الْخِذْلَانِ. أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ.
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَعَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَائِي وَمَعِي.
وَجُنْدِي وَتَبْعِي. مِنْهُمْ رُؤُوسُ الزُّهَادِ. وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ. وَعَلَى مَحَبَّتِي
مَضُوا. وَبِاتِّبَاعِ أَوْامِرِي قَضُوا. فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ. وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ. الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ. وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ. أَنَسُ ذَاتِي. وَوَصَفُ
صِفَاتِي. أَنَا رَأْسُ الْغَفَارِيَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ. وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. وَطُبِعْتُ عَلَى الْإِلْقَاءِ الْبَوَارِ وَاللِّدْمَارِ. رُجُومُ
النَّجْمِ. إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي. وَعَتَاةُ الْفَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي. الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاجِرِ مَكْرِي. وَالزَّنَدِيقُ يَتَقَبَّسُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي. لَمْ تَرُقْ قَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَائِبِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا.
وَلَا حَدَّثَتْ مِخْنَةً لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا. جَدِّي إِبْلِيسُ.
نَهَضَ لَجْدِي التَّعِيسِ. وَإِلَى نُحُوحِ آدَمَ هَوَى. فَعَصَى رَبَّهُ فَعَوَى. وَأَنَا
قَضِيَّةٌ بِالتَّسْوِيلِ. حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ. أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ.
وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ. وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ. لَهُامَانَ وَفِرْعَوْنَ.
وَجَرَّاتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْبِيَنِ الْوَسْوَاسِ.
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفَسْطِ مِنَ النَّاسِ. وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْجِبِلِّ
قَوْمَ مُوسَى. وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ نِينَ أُمَّةِ عِيسَى.
وَكَمْ أَعْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ. بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوْنَانٍ. وَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْتِقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أَذُنِي وَوَعَاهُ حَاطِرِي. وَوَقَّرَ فِي ذَهْنِي.

وَأَنَا أَشَارِفُ النَّحْوَمَ . وَأَسَارِقُ النُّجُومَ . وَأَسَاقِ الرُّجُومَ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفِتَنِ مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ
الْتِتَارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَاللُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالْفَقِصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالْتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَّهُمْ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مُنَاشِرِي الْمُسُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ .
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنْعٍ مِنَ الْحَنْزِيرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنُوطٍ
يُفْرِقُ قُلُوبَهُمْ وَجَمْعٍ سُوِّدَانِهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دَرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي النَّادِي . فَاقُ
الْحَاضِرِ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيَاسَةِ
حَفْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَابُ الطَّوَائِفِ . وَأَرَبَابُ الْوُطَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفُ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَايِسِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفُ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجْوَاهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخَلْقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَنْوُثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَصُحُوكُ السِّنِّ . بِشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ . يَسْتَفْئِلُكَ بِطَلَاقِهِ . وَيُحْيِيكَ بِبَشَرِهِ . وَيَسْتَدْرِيكَ بِكَرَمِ
 غَيْثٍ وَجِيلٍ بِشَرِّهِ . تَبْهِيكَ طَلَاقَتَهُ . وَبُرْصِيكَ بُشْرَهُ . صَحَّاحُكَ عَلَى
 مَا نَدَنَهُ . عَبْدُ اضْيَافَانِهِ . غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكْثِلِهِ . بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ .
 حَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِعُ الْجَلَمِ . ثَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخُلُقِ .
 مُحْصَنُ الضَّرْبَةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَلٍ . كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَامَةٍ . إِنْ سُئِلَ بِذَلِكَ . وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَمَاعُورَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَتَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَارُوسٍ يُسْتَانِ تَدُورُ وَتَجَلِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاشِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي ذَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ ذَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُنِيعَتْ أَفْنَانَا
 قَدْ طَارَحَتْهَا الْحَمَامُ تَحْوَاهَا فَيَحْيِيهَا وَيَرْجِعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِمَعْدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 ضَاقَتْ مَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَفَتَحَتْ أَضْلَاعُهُ أَجْنَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٍ وَجَنَاتٍ أَلْوَدُ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا نُحَيٍّ وَعُيُونُ التَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحَرًا وَمَاتَ الْقُضْبُ لِلتَّغْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَأَتَمَطَّرُ قَدَرُ ثَوْبِ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى تَبَاسِمَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَالطَّلُّ فِي سِلَكِ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالنِّعَامُ يَنْدَبُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ قَوْلُفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنْ الْأَضْيَابِ تَتَّصِفُ
وَمِنْ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْغَدِيرِ تَحْطَفُ

زهرة صفي الدين الحلي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّبِيعُ قَرَحَبًا يوروده وَبُنُورٌ بَهْجَتِهِ وَنُورٌ وُرُودِهِ
وَبُحْسَنٌ مَنَظَرُهُ وَطِيبٌ نَسِيمُهُ وَأَنِيقٌ مَلْبَسُهُ وَوُثِيٌّ رُودُهُ
فَصَلُّ إِذَا أَفْتَحَرُ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتُ تَصِيدِهِ
يُعْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِالْخَفِّ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُودُهُ
يَأْجُبُ أَزْهَارَهُ وَتَمَارَهُ وَنَبَاتٌ نَاجِمُهُ وَحُبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَاوِبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٌ مَعْبَدٌ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَّالُ بَدَمًا أَخَذَتْ يَدًا كَانُونٌ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَأَنْظُرْ لِرَجْسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرْفٌ تَلَبَّاهُ بَدَ طُولُ هُجُودِهِ
وَانْجَبْ لَا ذَرِيُونَهُ وَبَهَارِهِ كَالْتَبَرِ يَزْهُو بِاخْتِلَافِ نُفُودِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمُنْظُومِ مِنْ مَنُورِهِ مُتَوَعًّا بِنُصُولِهِ وَنُفُودِهِ

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرِّقِيقَ وَمَا بَدَأَ
وَالسُّحْبُ تَفْقَدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءُ فِي حَرَيَانِهِ
فَابْكُرْ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زِيَارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهْمُ وَجْدِي كُلَّمَا
لِللَّهِ ظِلُّكَ وَالنَّهْيُ مُسَلِّطُ
وَالشَّمْسُ رَغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْحَطَّةِ
وَالنَّهْرُ يَنْسِمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلَذَاكَ تَحْذَرُهُ النُّصُونُ فَمِلْهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَيْمٍ :

مُذْقِلَ لِلْأَغْصَانِ إِنْ أَلُورِدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغُورُ الْأَفْحَوَانِ مَسَرَّةً
٢٩٩ قَالَ الصَّابِيُّ فِي شِعْمَةٍ

وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُذْجِنَةٍ
كَأَنَّ نَفْسِي بِهَا الْإِدْجَ مُنْتَطِيًا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غَضَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَمَرُ فِي لَا النَّجْمُ يَهْدِي السَّرَى فِيهَا وَلَا أَلَمَرُ
عَزَمَ هُوَ الصَّارِمُ الْعَنْصَمَةَ الذَّكْرُ
مَا حَاطَهَا قَبْلَهُ يَنْعَمُ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجِخُ الْإِلِيلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ لَسْتَعِرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا دُونَهَا الْجُدُرُ
٣٠٠ قَالَ أَبُو أَلَاءِ الْمَعْرِي فِي السَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي حَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكِ
زُرَيْكَ أَنْتَسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الْفَنَاحِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْفَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَالْأَسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتُكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
بِكَمَاهُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
ضَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرْزُ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَانِهِ يُعَزُّ
تَرَاهُ فِي مَنَاقِرِهَا الْخُلُوقِ كَلُولُوءٌ يَلَاطُ بِالْعَلِيقِ
تَمِيسُ فِي حَاتِيهَا الْخُضْرَاءُ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعُذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ جَنْبِهَا خَلَاصُ
تُحْسِنُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرِطِ الْحَبِّ
تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنْتُ عَنْهَا وَأَسْمَاهُ مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَضْرٍ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتِنَا مِنَ الْخُسَادِ عَيْنُ فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بِالْتَجْنِيقِ
 وَقَوْمٍ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَاحِيَةَ تَوُحٍّ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَاحِيَةَ تَنَادِيٍّ وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةٍ ائْتَدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفَرُّ مِنْ الْحَرِيقِ إِلَى التَّهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٍ عَلَيْهِنَّ ائْتَلَايُ فِي الْحُلُوقِ
 يُتَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ وَقَدْ فَقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقٍ بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذَرُونَ مِنْ أَيِّ الْقَرِيقِ
 فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ قَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيُّ الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَجْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتُهُ وَلِلْمَيَّاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَاسِمَهُ وَالْتَرَجِسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصُ الْحَدَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِيرٍ أَوْ أَصْفَرٍ قَانِعٍ أَوْ أَيْضٍ يَقِقٍ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مِبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْمَعُ مِنْ تَبِيهِ وَمِنْ أَنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالنَّصْنُ فِي قَلْقٍ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَالْدُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكَانَهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ تَغْفِيَا
 وَالْبَدْرُ يُخْجِجُ الْأَفْوَاحَ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبًا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتُ بِشَجَرِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّفَا وَرَثَمُ
 تَنُوحُ إِلَّا الْإِفْ وَتُمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَدُقُّ
 وَتُغْرِبُ فِي الْحَانِهَا وَفُتُونِهَا فَتُغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تُعْجِمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخِهَا قَدْ اخْتَطَقَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حَوْمُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشُهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بَأَكْمَرٍ مِنِّي لَوْعَةً وَصَبَابَةً سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَانْكَمُ
 ٣٠٦ مِنَ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لُؤْلُؤٍ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكَرًا إِلَى الرُّوْضَةِ تَسْتَجْلِيهَا فَتُغْرِبُهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
 وَالْتَرَجِسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَغَضَّ طَرْفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ قَصِيحٌ عَلَى الْإَيْكَةِ وَالشُّرُورُ تَمَامُ
وَتَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ قَرَسٍ :

أُطْرَفُ قَاتَ طَرْفِي أَمْ شِهَابُ هَفَا كَأَلْبَرْقِ ضَرَمَهُ أَتْهَابُ
أَعَارَ الصَّنِجِ صَفْحَتَهُ نِقَابًا قَمَرَبُهُ وَصَحَّ لَنَا الْقَنَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحِ عَنْ أَذْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يُلْقَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْحُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ حِلَقَا
تَجِدِ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلْ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضَحُ مِنْطَقَا
بَلَدُ سَمْتِ بَيْنِ الْبِلَادِ مُحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا أَنْسَرَادَتِ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَا سِيَّامَا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بِأَنْ تُحِبَّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْتَاهَا يَدْعُونَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْتَقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَذُونَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءُ لِلنُّفُوسِ وَمَاؤُهَا عَذْبُ زَلَالٍ سَائِغٍ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مُحَاسِنُهَا عَنْ التَّعْدَادِ فَلَنَاتِ يَمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيَهَا وَطِيبَ تَحِيْمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَقَا
وَرَأَسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي تَحَرَّأَ فَهَيَّجَتِ الْهُوَادِ الشَّيْقَا

كَيْفَ انْتَجَتْ يَخْرُ تَحْوِكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعْلُو أَلْجِيَادَ السَّبَا
 صَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقًا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَلِكَ الْحَمَامُ وَشَفَقًا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَالَهَا مِنْ مَنَزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي الثَّقَى
 وَبِهَا الْفُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَرَخَّرَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلْقٍ بَهْجَةٍ وَطَلَاوَةٍ فِيهَا السَّرُورُ تَحْمَقًا
 سُقِيتْ دِمَشْقُ الشَّامِ صَوْبَ عَمَامَةٍ أَشْنَى عَلَى غِيْطَانِهَا قَتَدَقًا
 كَمْ زَهْوَةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرْفِ الْهَمُومِ قَاطِرًا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهْوَةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقًا

(•) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقاناً بناه وغرابةً صنعة واحتفالاً تسيقي وتزيين . انتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأنق فيه . وأُزيلت جُدُرُهُ كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء . وخلطت بها أنواع من
 اللابصة الغريبة قد مثَّلت أشجاراً وفرَّعت أغصاناً منظومة بالفصوص بديع الصنعة المهجزة وصف
 كل واصل . فجاء ينشي العيون وبيضاء وبصيصاً . وبلغت الفتحة فيه أحد عشر ألف الف دينار
 واثني ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذرعه ثلاثمائة ذراع . وذرعه في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ١٥ سارية و ٨٠ رجل اثنان مرخمة مُلصقة بالجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة ابداع
 ترخيم مرخمة بفصوص من الرخام ملونة قد نُظمت خواتيم وصُورت محاريب وأشكالاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهات سمته عَشْرُ حُطَا . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَثَقَّتْ صُنَاعُهُ بُيَانَهُ فَأَتَى الْمَرْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَن تَدَاوَلَهُ رَقَى
 وَثَلَاثُ هَائِكَ الْمَادِنِ تَجَلَّى مِثْلَ الْمَرَاثِ قَدْ لَيْسَنَ أَلِيمًا
 مِّنْ قَوْفِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ رَسَّلُوا بَرَّثْمَ يُشْجِي الْفَوَادَ الشِّيمَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمَشْتَاكِ بَابًا مُّغْلَقًا
 يَا حَبْدَاكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَانْحَلَّى قَدَا بِهِ مَا أَلْسِمَ مُرْقَقًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَانِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجَمُّعًا وَتَفَرُّقًا
 مِّنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عُلِقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْنَا رَيْقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَمَلِّقَا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شئاساتها الزجاجية المذهبة الملونة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القلبي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها . ومحاربة
 من اعجب الحارث الاسلامي حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كله . قد قامت في وسطه محارب
 صفار متصلة بمجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة . فانها مخروطية بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيئا اجمل منها . وله اربعة بواب وبواب يجيرون اعظمها وله ولغيره دهاليز
 متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كبا مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلَّهِ . أَيَّامٌ تَقْضَتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تَحْوِ ظِلَالَهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَنَشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلُ عُمْرٍ أَنَسِي لَا أَلْفُؤُزُ وَلَا أَلْفَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لَذِي يَا فُؤَادِي بِمَا بِهَا مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْحُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لمُمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يُخَدَّر عليها الى الدهليز وهي كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتخير الطرف دونه سموًا . قد حَفَّتْهُ اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجانب الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تُقَلِّها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفَر يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله اثنا عشر صغار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كفضبان البين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابداع من ان يوصف . وعن بين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقتان من صُفَر وقد فتحت ابوابًا صناعيًا على عدد ساعات النهار ودُبرت تدابير هندسية . فمُند انقضاء ساعة من النهار تسقط صُحُبان من صُفَر من في بازيين من صُفَر قائمين على طاستين من صُفَر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهما للصُحُبان الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تخفله الاوهام سحرًا . فمُند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى القرفة وينلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالها الأول ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقتان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من الخُفاس مَحْمَرَّة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة مَحْمَرَّة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصُبح الى موضعه وهي التي تُسَمَّى المِقَاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (للشريفي)

الْبَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والفيصل

٣٠٩ قَالَ الْقُرَوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدَ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبطُوا فِي خُرُطُومِهِ سِفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرَفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيلَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَبَّ هَارُونُ وَثَبَةً أَنْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَمَلَّقَ بَأْنْيَاهُ. فَجَالَ بِهِ الْفِيلُ جَوْلَةً كَادَ يَخْطُمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَاطِطَ الْجِلَاسِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلَهُمَا مُجَوِّفٌ فَأَنْقَلَعَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَعِثْمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرُطُومَهُ بِجُحَامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هُذَامٍ
فَإِنْ تَنَكَّرَ لِي مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْقَوَادِ عَبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازِمْتُ أَيْ لِزَامٍ
وَعُذْتُ بِنَائِيهِ وَأَذَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء .

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَيْتٍ مِنَ الْيَامِ
وَعِنْدَهُ أَكْبَارُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا .
يُحْكِمُ بَيْنَ الرِّعَايَا . إِذَا قَبِلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . نَظِيفُ
الْأَثْوَابِ . يَكْتَفِيهِ شَابَانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ
وَسَمَّيَاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَآلِيَاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ
يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ .
جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ
التَّدْبِيرِ . مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِقَضَائِلِهِ .
رَبَّنَا نَا صِغَارًا . وَأَوْلَانَا مَتْنًا غِزَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمُنَى :

لَنَا وَالِدُلُو كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْذَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيثِهِ لَهُ يَنْزَرُهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَتَطَفُّ بِأَنْعِ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَلَسَأَلَكَ
الْقَصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَظَرَّ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ قَمَا الْجَوَابُ . وَأَنْتَ لَامٌ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنِ الْإِسْتِيْعَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيَّا
بِكَلِمَاتٍ حَسَنٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتُ . فِي مَا أَدْعِيَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأَلْنِي

قَصَّيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمُ أَيُّ عَرِيمٍ مِنْ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَّتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَنْصَتُ فِي
 بَعْضِ طَرَانِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . يَنْتَاقِي إِلَيَّ حَبِيبَاتِ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتِ . بَيْنَهُنَّ فَعْلُ كَرِيمٍ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَالِغُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ التَّلَاجِ . يَمِشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ دَاجُ . فَدَنَّتِ الثُّوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنْ الْحَاظِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلَتْهَا بِشَفَرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ذَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَاظِطُ وَزَفَرَ . رَفِيَ بِهِ
 أَلْيَنِي حَجْرٌ . يَتِمَادَى كَأَلَيْثٍ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفَحْلُ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَحْلَ سَاطِعَ لِحْيِهِ وَأَنْتَابَ .
 تَوَقَّعْتُ فِي جَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بَيْنِيهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَزْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرْءُ مَهْمُؤُلٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَدَأَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَمْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَتَمَمْتُ إِيَّاهُمَا .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا أَفْتَرَفْتَ . وَتَعَدَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجَبَ الْفَصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعْنَا وَطَوَعْنَا بِمَا حَكَمَ الْإِمَامُ . وَرَضِينَا بِمَا أَقْضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِمِلْ حَبْلٍ .
 وَذَهَبِ حَبْلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهُ

عَلَيَّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذْتُ لَذَلِكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعْتُهُ فِيهِ وَلَا يَلْعَلُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ أَلَا نَ
يَبْتَلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبَ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مِنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعَالَمِ . وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأُطْرَقَ عَمْرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالْعَوْدُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَرَ الْعُلَامُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عَمْرٌ : أَتَضْمَنُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَتَضْمَنُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ
الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عَمْرٍ .
وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدَرٍ . فَلَا
تَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْعُلَامِ . إِنْ انْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْعُلَامُ . وَقِفْتُ بِالضَّمَانِ .
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عَمْرٌ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْعُلَامُ .
لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْضَيْتُهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبْرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَارْفَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَزَايَدَ

النَّشِيجُ . فَمَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ أَخَذَ الدِّيَةَ . وَاعْتَسَمَ
 الْأَثْنِيَّةُ . فَأَصْرَأَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيًّا إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْقَتُولِ . فَيَنِمَّا
 النَّاسُ يَوْمُجُونَ تَلَهْفًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ اسَلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَفْتَحْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَجَ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صَدَقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَاجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفْعُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَقَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسُ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ أُلُوفًا مِنْ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَنِمْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنِ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمُرُوءَةُ أَنْ تُحِبَّ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ آبِنَا . فَلْتُبْدَلْ وَخَشْتُهُ بِإِنْسَانٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْغَفْوِ
 عَنْ أُلُوفٍ . وَعَجِبَ مِنْ صَدَقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَمْتَزَرَ مُرُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلْسَانِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ :
 مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَدْعَمْ جَوَازَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةَ
 أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أَبْتِغَاءَ لُوجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مِنَّا وَلَا أَذَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعْتَدَتْهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَابِ . وَاثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (لِلاتِلِيدِي)

جمحد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جَمْدَرَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَابْكَا شَاعِرًا بَابِلِيًا .
 قَفَزَ أَهْلُ الْيَمَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُؤَيِّجُهُ بِتَغْلِبِ جَمْدَرَ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَثْلُغَهُ أَوْ يُجْعِلَهُ إِلَيْهِ
 أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فَتِيَّةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَمَاعِلَ
 الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جَمْدَرَ أَوْ آتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفَتِيَّةُ إِلَى طَائِفِهِ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوُثِّقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسُكِّنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَأْتِيهِمْ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِّمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِّمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 جَمْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّ أَكْ دَلِي مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبُ الزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
 وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ ابْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ الرَّادِي : فَتَجَبَّ
الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي قَادِفُ بَيْتِكَ فِي
حَقَارَتِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتُكَ كَفَانَا مَوْتُكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبَ الْقَرْجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِأَمَلِهِ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَجْعَلَهُ
إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهًا أَمْنُظَرَ كَثِيرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَةً
الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يُصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَلِيُسَبَّ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَقَارِ وَلَمْ يُطْعَمْ
شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَلَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُنْزَلُوهُ إِلَيْهِ
فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ
نَهَضَ وَوَبَّ وَتَمَطَّى وَزَارَ رِيبًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ رَهُوً يَقُولُ :

أَيْتُ وَلَيْتُ فِي جِبَالِ ضَنْكَ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكَ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكَ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ

فَأَنْتَ لِي فِي قُبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَصَرَبَهُ بِسِنْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْجَبَ
الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرُكُ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَقَارِ وَذُكِّ
وَنَافَهُ وَقَيْدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِنَّمَا أَن نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِإِلَادِكَ وَكَشَرِطَ عَلَيْكَ أَن لَا تُحَدِّثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَعَمَلَهُ مِنْ سَمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلَيْتْ أَن وَلَّاهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكِي الْأَوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَالِكُهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَتَسَّ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَافْتَتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دِمِّي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَذْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

بِهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوَسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَعْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمَتْ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ فِي وَطْمِعٍ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَى فَيْقَتٍ أَتَقَلَّى عَلَى جِبرِ الْغَضَا . فَيَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَلٌ حَامِلٌ كُلِّ مَا يُنْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
 وَلَحْمٍ وَقَدْرًا جَدِيدَةً وَجَرَّةَ نَظِيفَةٍ وَكَبِيرَانَا جُدَدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : امْضِ بِحَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدَيَّ . قَالَ
 لِي بِهِمْ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ نَظِيفَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قَدْرًا لَمْ أَذِرْ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَدَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرْبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلْهَمٌ وَيَدْفَعُ أَلْغَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَضَى وَجَاءَ فِي بَقْدَحٍ وَبَدَسَتْ مِلَانُ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوْقٌ لِنَفْسِكَ مَخَافَةً أَنْ تَتَفَرَّزَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الدَّسْتِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ
 أَمَّاكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِرَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَكَعْ لَوْ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسَنُ
الْعَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُجْبَانُ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِّي خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا بَعِثْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَبَنَيْتُ مَرْوَةَ تَهْ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوَلَدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْمَالِمِينَ قَدِيدُ
فَأَسْتَوَلَى عَلَيْهِ الطَّرَبُ الْمَفْرُطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَغْنِي مَا سَخَعَ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمَرْوَةَ تَك . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَشَى لَنَا النَّوْمُ أَغْنَانَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَنَا نَلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَحْبَبَنِي مِنَ الطَّرَبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْهَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّنِي مِنْ هَذِهِ الزُّهَاتِ فَأَنشَدَ لِلشُّعْرَاءِ :
تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَشَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْمَسَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَّامِ وَحُسْنِ أَدَبِهِ . فَقُمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَائِيرُ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَأَلَّكَ
 عِنْدِي الْمُرِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَأَخْذُ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ . فَرُبُّكَ وَحَاوُلُوكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا فُتْنَنَ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطةَ إِلَى كُفِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمَلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَتَيْتُهُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَّنَ أَخْنَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوَؤُنِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرِّطٍ أَنْ تُتَّفِقَ مَعِيَ فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرِّطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي أَلَدِ عَيْشٍ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنَ الْخَرِيطةِ شَيْئًا .
 فَتَدَمَّيْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَنْتُ مِنَ التَّنْفِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَرِيَّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلْنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعِ مَرَشُوشٍ فَظَنَنْتُ جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يُخْدِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْأُمُورِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَرْلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجَسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرًا وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْفَنِي دَمِي
فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
عَنِيفًا . فَخَرَجَتْ وَفَتَحَتِ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِ الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجَسْرِ
وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالنِّعَى وَأَنْفَلَتَ مِنِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلِيلاً . ثُمَّ إِنَّمَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظْنُكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَدَتْ لِي الْكَرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتَ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنْمَ بِكَ .
فَالْأَوْلَى بِكَ أَنْ تَتَجَوَّ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمَهْلَةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبَسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَآتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَدَّثَتِ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَاقَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِي
قَدْ أَقْبَلَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْلَسْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عَيْنَانَا . فَحَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَقَعَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ الثَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقْتُلُ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعْفُ فَبِنُفُضِكَ . ثُمَّ أُنْشَدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَقَدْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأَضْحِ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ
قَالَ : فَرَفَعَ الْمُأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :
أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ ؟ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَقَّ لِي الْمُأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأَسْتَرَوْحَتْ رَوَاحُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شِمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعٍ مِنْ
حَضَرٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارٍ يَقْتُلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَهَذَا وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ
مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَنَكَّسَ الْمُأْمُونُ
رَأْسَهُ مُطَرِّقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشَدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَأَذَارَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْفُتْنَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَفَوِّدَ مَعَهُ بِعَذْرِ
 وَعَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّامِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَاهُمُ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَالَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَأَنشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّتْ دِمِّي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَذَلْتُ دِمِّي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْذَهَا كُنْتَ لَمْ تَلَمْ
 فَإِنْ جَعَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى الْلُؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدُرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ جَنْدِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظَنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
 دَوَانِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَنِي
 الْغَفْوَةَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي أَلَّا نَحَدِيثُكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجَنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَقَدِمَا جَارِيَتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَارَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجَنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجَنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حُجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحُجَّامَةُ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجَنْدِيَّةِ وَاتَّكَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْنَعُ لِلْمَهْمَاتِ . ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مَرْوَتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجَنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجَنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيقَةُ الْأَفْرَاحِ لِلْبَيْهَقِيِّ)

الْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَارِثِ الْكَاتِبُ الدِّينَوْرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ قَصَدَهُ وَآلَهُ :

رَحِمَ الْإِلَٰهَ مُجَدِّلِينَ سَلِيمُهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبْضَعٌ مُبْضَعٌ
فَقَصَائِبُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَائِبٍ نَشَرْتَ قَطَطِي أَذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَقْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَقْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشَّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كُنَّا نَأْسُهُمْ أَمْ ذُو الْقَقَارِمِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَرْعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَرَّ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدَّرَعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لِيُطْلَبَ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا لُبْتُ بِهَا سُودًا إِذَا أَنْتَبَهُوا فِي اللَّيْلِ لَمْ أَنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغِيهِمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُقْذِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِنِّي أَنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَخْدَبِ :

لَا تَظُنَّنَّ حَذَبَةَ الظَّهْرِ عَيَا فَعَنِي فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْقَيْسِيُّ مُحَدِّدَاتٌ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الطُّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَلَا السَّنَامُ فِقِيهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيْ جَمَالِ

كَوْنَ اللَّهُ حَدَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ الْفَضْلِ وَالْإِمْنِ الْإِنْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طَوْدٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْخِرُ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيبَةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُدْبَانِ
يَا مُشْبِهَ الْفُضْنِ الرُّطِيبِ إِذَا أَنْتَنِي مِنْ حَدَبَةٍ قِيمِيسُ كَالرِّيَّانِ
يَا مُخْجَلًا شَكَلَ الزَّمَانُ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُفْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةَ إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بِيْدَانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدَبِيَّةٍ فِي حَلَبَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا أَشْتَقْنَا قِيَابَ الْمُتَحَنِّي مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطَرَّبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنْعَمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدَبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقَوْ لِطُوفَانِ
وَمُدَبِّرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا أَكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثَّلَا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدَبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلُّ مُكَرَّبٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
مُتَجَمِّعَ الْكَتِفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضُّعْفَانِ

الطيب والحليقة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ فَلَّاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْأَلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضَمَفَ هَمِي. فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ: لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا ذَاكَ هَمِي.
وَعَلَّاجُهُ بَيْنَ. أَعْطَنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا. فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَي
وَأَسْتَوْصَفُهُ الدَّوَاءَ. فَقَالَ صَمْدُهُ بِعْجَةٍ بَيْضَ كَثِيرَةٍ الْأَزَارِ. وَضَعُ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ. فَقَعَلَ ذَلِكَ فَبَرِئَتْ قَدَمُهُ. وَزَالَ بِالْكُلِّيَّةِ أَلَمُهُ.
فَفَكَّرَ الْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ. وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ. فَرَأَى الرِّاحَةَ. فِي
تَرْكِ الْفَلَّاحَةِ. وَالْإِسْتِقَالِ بِعِلْمِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ. وَيَأْتِي
أَمْرٌ حَقِيرٌ. يُحْصَلُ أَمَالُ الْكَثِيرِ. فَبَاعَ آلَاتِ الزَّرَاعَةِ. وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ. وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ. وَكَرَّارِيسَ مُخْرَمَةً
مَنَازِلَ. وَوَسَّعَ أَكْثَامَهُ. وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعِمَامَةِ. وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأُورَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ: أَنَّ
الْمَكَانَ الْفَلَائِي فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَّامَةُ الْأَوَانِ.
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ. وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ.
وَتَصَدَّرَ كَأَيُّ زَيْدٍ وَسَاسَانُ. عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ:

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعُ لَذَاكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً وَجُمْلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعُ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ كَقُبَّةِ النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْفَنَاطِيرِ
وَأَجْمَعُ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ تَخْلُطُهَا وَاسْتَحَقَّ سَفُوفًا وَاسْتَحَالَ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِلْتِ مِنْ أَسْمَاءِ مُغْرِبَةِ كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخُنُورِ
وَقُلْ مِنَ الْهِنْدِ جَاهَذَا وَمِنْ عَدَنِ هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ تَقُورِ

وَذَا مِنْ الْجَبْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنْ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِرُبُورِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْإِسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ فَكُلْ تَوَرَّمٍ مِنْ لَسَعِ الزَّنَابِيرِ
إِنْ أَقْشَعَرَ فُكُلُ بَرْدِ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرَهُ وَهَجِ التَّكَايِيرِ
وَبِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ ذُوْنهُ الْبُورِ
فَإِنْ يَبْعَثُ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمٌ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ فُكُلَ عَلَمِي وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ ضِدُّ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فِيهَا فِرٌّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَلِكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَذِيرِ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ . رَأَى فِي الْمَنَامِ . شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرَ حَالَهُ . فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ . وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ . فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُبِيرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَأَخَرَ . أَعْطِنِي دِينَكَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ . قَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا يَفُودُهُ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْرَثَهُ الْوُجَعِ وَالضَّرَمِ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمَدٌ رَجَلَكَ بَعْجَةٌ بَيْضٌ . مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَيْكُنْ ذَلِكَ مُسْتَحَنًّا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ . فَأَذَبَهُ التَّلَاذِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُتَدَامَةِ السَّالِغِ . وَأَسْتَمَرَ
عَلَى كَلَالَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فَلَاحَتِهِ (فَاهِكَةُ الْخُلَفَاءِ لابن عربشاه)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ مَا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِبِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ الْبَرِّيَّةِ بِرُكُضٍ فِي سَيْرِهِ . قَالَ : هَذَا يَهْصِدُنِي فَلَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي . فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تَضْرِبُ . وَالْحَيَامَ تُنْصَبُ . وَالْعَسْكَرَ الْكَثِيرَ . وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ . وَسَمِعَ الْغَوَاةَ وَالصَّبِيحَةَ طَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَزَلَّ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . قَالَ : أَخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : الْآنَ قَارَبْتَ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . قَالَ : مِنْ قُضَاعَةَ . قَالَ : مِنْ أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَفْصَاهَا . قَالَ : مِنْ أَفْصَاهَا . فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ : مِثْلَكَ مَنْ يَهْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ . قَالَ : قَصِدْتُ هَؤُلَاءِ الْأَمَاجِدَ الْأَنْجَادَ الَّذِينَ قَدْ اشتهَرَّ مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ . قَالَ : مَنْ هُمْ . قَالَ : الْبَرَامِكَةُ . قَالَ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ . وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ . فَهَلْ اغْرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَأَتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ . قَالَ : أَجَلْ أَطْلُوهُمْ بَاعًا وَأَسْتَحْمُهُمْ كَنَاءً . قَالَ : مَنْ هُوَ . قَالَ : الْفَضْلُ ابْنُ يُحْيَى بْنِ خَالِدٍ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ جَلِيلٌ أَتَدْرِي عَظِيمُ الْخَطَرِ . إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا لَمْ يَخْضَرْ مَجْلِسُهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْأَدَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْمُنَظِّرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلِمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَقَادِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بَكْتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِنْكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بِأَيِّ ذَرِيْعَةٍ
 أَوْ وَسِيْلَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قُلْتُهُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَتَشِدُّنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَحِقَّ إِشْعْرَكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَفَعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنِي أَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَتَصَّصُهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلَهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لِأَعْذَاءِ الطِّفْلِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحْنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْحَازِمَةُ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يُجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَنِيهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُتَحَنِّنًا هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقْتِكَ الْأَذْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُنَاصِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلْتُ جِهَائِدُ فَضْلٍ وَزَنْ نَائِلِهِ . وَمَلَّ كُتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقْتُ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَانِ الْيَتِيمَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَمَلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدْوَالُكَ مِنْ زَمَلٍ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدْوَالٍ قَدْ نَفَذَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَانِ
الْيَتِيمَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَتْنَانِ صَبٌّ وَبَاذِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبُّ وَالْبَاذِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ الْوَرْدَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَى الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةَ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ الْقَتَاوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَجِرْنَا مِنَ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَنَشِدْنِي يَتِيمَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لِأَعْلَى الْأَسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرْدَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ تَحُلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . أُنْشِدْنَا غَيْرَ
الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَنَعَنِي
بَعْدَ هَذَا لَأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي .
وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لَأَجْمَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
وَلَأَرْجِعَنَّ إِلَى قُضَاعَةَ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَسْمِعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :
وَلَانِيَّةٍ لَامَتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَشْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَتَنْهَيْنَ فَنَمَلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِأَوْرَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السُّحَابَ عَنِ الْإِطْرِ
كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمُرْنِ فِي مَهَبِهِ قَفَرٍ
كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَأَقْوَا عِنْدَهُ أَيْلَةُ الْقَدْرِ
قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
فَقَالَ : سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهَوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
فَأَقْلَبْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَا وَنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ
دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ يَدْفَعُ أُمَالٍ . فَلَمَّا صَارَ أُمَالُ إِلَيْهِ
حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا بُنَيَّ جَافٌ مِنْ
أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ اسْتَرْفَقَهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَخَبَّرَ بِهِ هَذَا أُمَالٍ .

فَقَالَ : اُسْتَحْتَمُهُ بِحُضُورِهِ إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ وَأَوْمَأَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا فَاسْتَغْطَفْ مَالَكَ وَيَكُونْ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا وَرَكَبَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَزْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِزِّ فَادْرِمِ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَضْحُكَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَلَمْ أَزِلْ فَلَا تَبْسُطْ كَفِّي وَلَا تَهْضَمْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَدَّلْتُهُ فَلَا تُبْقِ لِي بُخْلِي وَلَا تُتْلِفِي بَذْلِي
أُرُونِي بِخِيَالًا نَالَ مَجْدًا بِخِيَالِهِ وَهَاتُوا كَرِيَمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ . اعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَانْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بُكَؤُكَ يَا أَعْرَابِي .
الْإِسْتِفْلَالُ لِلْمَالِ الَّذِي أُعْطِيَكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلْبُ
الْتَرَابِ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضِ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حُرٌّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للاتليدي)

أَلْبَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْحَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ
الْمُنْتَشِرَ صَيْتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَمِيمِهَا وَإِنْقَانِ فُصُورِهَا وَزَخْرَفَةِ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَانِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ
فَوَقَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَشْرَفَاتِ
وَالْإِنِّشَاءِ مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْفُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرُقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةَ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ أَقْتَدَارٍ مُعْجِزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْحَلِيفَةِ مُتَّاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةِ . وَمَادَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْتَحَلَ الْمُخْتَلَفَةَ إِلَّا وَكَلَهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَدَلَّهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُّ الْمُشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقُبَّةِ . وَجَعِبَ مَا تَقَمَّنَهُ مِنْ إِنْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَبَرَاةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرَمَرٍ مُسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمِدٍ كَأَنَّمَا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَتَمَّائِلِ

لَا تَهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِفْصَاءِ التَّغْيِيرِ عَنْهَا (الْكُفَى مَثَلًا). وَكُنْتَ تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْحَلِيقَةِ بَرَكَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بَصْنَةً مُحْكَمَةً وَفِي وَسْطِهَا يَوْمُ أَسَدٍ عَظِيمٍ الصُّرَّةُ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوْعَةِ لَمْ يُشَاهَدْ أَبَهِى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلَبُ بَذْهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ قَبِيرُ الْمُنَاطِرِ يُحْسِنُهُ وَرُوْعَةُ مَنْظَرِهِ وَتَحَاجَةُ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ تَحْتِهِ جَنَانُ هَذَا الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ . وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ وَتَمَثَّلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِخِمَامَةِ بُنْيَانِهَا . وَمَا يَخْصُ سَائِرَ الْبَنَاءِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ الْمُخْجَعِ عَنِ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أُخْرِيَّةٍ وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ أَلْيَمَةَ الَّتِي أَتَمَحَفَ النَّاصِرُ بِهَا إِيَّوْنَ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرٌ مَبْجُوعٌ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبَقِ . وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ وَقَدْ أُنْعِمَتْ عَلَى حَتَايَا مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي . وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَائُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحِيطَانِهِ فَيَصِيرُ مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ . وَكَانَ بِنَاءُ الزُّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِثْمَانِ وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الْمَرْمَرِ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاهُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَتَتْهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
وَسَطِ الْخَيْرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَبَّ الْمَاءُ عَلَى
رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَنْدِيرِ أَحْكَمِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَتَبْتَصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
غَلَاةٍ تَمَّاسُكٍ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتَرُ مِنْ الْجَزْيِ وَتَوْقُدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
فَيَرَى لِذَلِكَ مَنْظَرَ بَدِيعٍ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (للمقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والتيل

٣٢٠ . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
مِنْهَا بِلْدَانِي شَهِدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
السَّوَادُ . فَمَارَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفَهُ وَاصْفُ إِلَّا عِلِمَ
أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَثَارِ مَا لَا يَضِيطُّهَا الْإِيَانُ فَضْلًا
عَنِ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرُ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ .
قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الِارْتِفَاعِ
غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلُفِهِ . وَلَا يُذَرُّهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا اضْرَمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَأَمِّلُ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقياسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ التَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُوتَةٍ وَمُعْظَمُ أَتْنَاهِ
أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُتُوبِ . وَالْمِقياسُ عُمُودُ رُخَامٍ سَمَرِيٍّ فِي مَوْضِعٍ
يُخَصِّرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ أَتْنَاهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ. فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
الْعَاقِيَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا لِعُمُومِ الْفَيْضِ.
وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي
يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَاجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى
الْبَشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مِائِمَةً
وَمِنَ الْمُبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهَا وَأَخْبَارُهَا لَا
تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ. وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أُمِّيَالٍ فِي
الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفَضَّى مِنْهَا إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجِزَةٌ
الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مَرْبَعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ
فِي جَوْ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
رُكْنِهِ أَلَا ثَمَانَةَ خُطُوفٍ وَسِتٍّ وَسِتُّونَ خُطُوفَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
الْعَيْنِ. وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
كَأَنَّ سَعَةً مَا يَكُونُ مِنَ الرَّحَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
الْمُخَوَّتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُغْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
نَقْضَ بَنَائِهَا. أَمَّا الْأَهْرَامَانِ الْعَظِيمَانِ فَحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ. كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
مَرْبَعٌ رَحْبٌ. وَهَمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِثْقَانِ

الْهَنْدَسَةِ وَحُسْنِ التَّقْدِيرِ بَحِثُ إِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِعَصْفِ الرِّيحِ وَهَطْلِ
السَّحَابِ وَزَعْزَعَةِ الزَّلَازِلِ . وَهَذَا الْبِنَاءُ لَيْسَ بَيْنَ حِجَارَتِهِ بَلَاطٌ إِلَّا
مَا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ تَوْبٌ أَبْيَضُ فُرْشَ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَوْ وَرَقَةٌ لَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَهُمَا
الشَّعْرَةُ . وَطُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ فِي سَمَكِ ذِرَاعَيْنِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا عَظِيمًا فَحِثُّهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ صِفَتِهِ إِلَّا الْأَهْرَمِينَ . فَإِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُهُمَا كَانَ رُؤْيُيَهُمَا أَعْظَمَ مِنْ صِفَتِهِمَا . وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ بَنَى
الْأَهْرَامَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَسَرْتُ عُقُولَ ذَوِي الْإِهْيَامِ وَأَسْتُصْفِرْتُ لِعَظِيمَيَا الْأَجْرَامِ
مُلْسُ مُوْتَقَّةِ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَصَرَتْ لِعَالِ دُونِهِنَّ سِهَامُ
لَمْ أَذْرِحِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا وَأَسْتَوْهَمْتُ لِعَجِيبَا الْأَوْهَامِ
أَقْبُورُ أَمْلَاكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَسْمُ رَمَلٍ هُنَّ أَمْ أَعْلَامُ
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ بِمَضَرِ قُبُورِ مُلُوكٍ عِظَامُهَا آثُرُوا أَنَّ
يَتَمَيَّزُوا عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَبَقِيَ ذِكْرُهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
بِعَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِيٍّ وَضَرِ
أَنَافًا بِأَعْنََاءِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفًا عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ أَوِ النَّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهُ عُمَارَةُ بْنُ الْيَمَنِ الشَّاعِرُ :

سَطَلِي مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ تُمَاطِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِيٍّ وَضَرِ
تَنَزَّهُ طَرَفِي فِي بَدِيعِ بَنَائِهَا وَلَمْ يَتَنَزَّ فِي الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِي

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِلْأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابٍ
فَكُنَّا هِيَ كَالْجَنَائِمِ مُتَمَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النُّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِلَادِ الْقَمَرِ خَلْفَ
خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمُدُّ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يَرْزَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَنْقَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانٍ أَنْتَبِطَ إِذَا نَضَبَ الْمِيَاهُ . قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شَمَائِلُهُ فِي ضَفْتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاهُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ قَيَاضُ عَلَى تَرْعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبَ الرِّيحِ أَرْوَاهُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْبَاحُ

(اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ قَوَّعَلَ عَنَتْرُ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالنَّعَمِ . وَقَصَّدَ بِهَا الرَّوَّايَ وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . وَبَعْدَ
عَنْ حَيِّ عَنِسٍ . فَقَصَّدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسَرَحْتَ الْأَغْنَامُ تَرْعَى. فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَنْجُبُ. أَفْطَسُ الْمَنْخَرِ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرْرُ. يَثْلُبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَرَ. بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ. وَخَالَابِ أَمْرٍ مِنَ الْمَصَابِ.
شَدُوقُ شَدَقِمٍ. عَبُوسٌ أَذْغَمُ. تَسْمَعُ الرَّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمْدَمَ. يَلْمَعُ الْبَرْقُ
مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ الْأَيْلُ وَأَغْثَمَ. شَدِيدُ الْحَيْلِ صَغْبُ الْمِرَاسِ. عَرِيضُ
الْكَيْفِ كَبِيرُ الرَّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَاحَتَهُ
فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ الثُّوقُ وَالْجِمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالْشِّمَالِ.
فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتَرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ.
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ. وَهُوَ
يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرْرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
زَعَقَ عَنَتَرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْقَلَا. يَا نَحْسَ وَحُوشِ الْبَيْدَا. فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ. وَأَفْتَحْتَ بَهْمَتَكَ وَهَمَمَتَكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ لَمَّا
السَّيَّاحِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمُطَاعُ. وَلَكِنْ عُدَّ بِالْحَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا
كَمَنْ لَا قِيَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا هُنَاكَ الْإِبْطَالِ. أَنَا مُيْتَمُ الْأَطْقَالِ.
فَمَا نَالَا أَرْضِي أَنْ أَفْطِكَ بَسَنَانٍ وَلَا بَحْسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّيْعِ وَهُوَ يَنْشُدُ:
يَا أَيُّهَا السَّيْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعْتَرَا مَنُوبَا
أَتُرِيدُ أَمْ وَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْأَدِمَاغِ مَضُوبَا

شَرَدَتْ أَغْنَامِي وَلَمْ تَكْ عَلِيًّا أَنِّي هَزَزْتُ لَا أَزَالُ مُهْرَبًا
هَٰذَا فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَٰذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُصْحِي لِلْحِمَامِ شُرُوبًا
لَمْ تَأْتِ تَحْوِي تَبْتَغِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَقَالَكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَضْبُوبًا
ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْفُوعُ الْبَرَدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلُ
الْثُعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَتَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَتْفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ .
وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمَنَّ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الَّتِي تَتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
الْبَحْمَجِ أَيْ الْمَقْلِيِّ . وَصِفَتُهَا أَنَّ يُوضَعُ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْفَشْرِيةُ
أَوْ مَعَ الْبُنِّ الَّتِي تَحْمَجُ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبَيْتَةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
تُخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتَوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقِهَا
إِلَى الْمُرَادَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمِنْ قَائِلٍ بِحَبِّهَا بَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهْوَرُ الْمُبَارَكَةُ
عَلَى أَزْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
الْعِبَادَةِ لِطُلَّالِهَا . وَمِنْ قَائِلٍ بِجُرْمَتِهَا مُفْرِطٍ فِي ذَمِّهَا وَالنَّشِيعِ عَلَى
شُرَابِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ التَّصَانِيفُ وَالْفَتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
بِجُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الْأِضْرَارَ بِالْمَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالتَّمَصُّبَاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ النَّخْوَةِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِفْهَاءِ وَهُوَ الْأَجْتَوَاءُ أَيْ الْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنَ الْإِفْهَاءِ بِمَعْنَى الْأَقْعَادِ
 مِنْ أَفْهَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيْ قَعَدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقَعُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْبِي أَيْ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدَعْنَهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنْ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّجَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِمُؤَيَّدَةِ تَضَمُّعِ
 الْفِتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَقْضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ الْأَنْجَمِ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِّيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَفَنَّقَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تُذْهِبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدَنَ خِفَةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشَرِبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَبَاجَعَ
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شَرِبِهَا لِلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَزَلْ فِي انْتِشَارٍ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهِبُ هَمَّ الْفَقِي أَنْتِ لِحَاوِيِ الْعِلْمِ نِعَمُ الْمُرَادِ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيمُهَا قِشْرًا قَتَانِي لَنَا فِي نَكْهَةِ الْمِسْكِ وَلَوْنُ الْمِدَادِ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَتَابُنِ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ
قَالَ آخَرُ :

عَرَّجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَالْلُطْفُ قَدْ حَفَّ بِئِذْمَانِهَا
فَانْهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَتْ السَّاقِي بِفَتْجَانِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَانِهَا نَفْسُ الْكَدَارِ وَتَحْرَقُ الْهَمُّ بِدِرَانِهَا
يُقْرِئُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَنْ عَلَى الْخَمْرِ وَأَذَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِطُلَانِهَا

(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزي)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إِعْلَامُ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
زَلُّوا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ وَاهٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشَّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبَقَاؤُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَيَّةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَمِّ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَادَةِ الضَّمِيمِ وَقِلَّةِ أَحْتِمَالِ
الذُّلِّ وَالسَّمَاحَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنِّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّنْيَةِ .

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْيَمَنِ الصُّورِيَّةِ .
تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهِمَّاتِهَا .
بَغْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرَفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ
وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاَتِهِمْ لِمَضْرُوبِ
الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَذْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِتِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ اللَّعَبِ
فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَخَذَقُ
النَّاسَ بِالْقُرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمُوشَحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مِنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْثُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
وَقَفَ عَلَيْهِمَا غُلُوطَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِتَّةِ الْآخِرَةِ
الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُودَةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
فَأَمَّا أَهْلُ الْبِلَادِيَّةِ فَمَالُوا فِي الْبُؤَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاحَلُوا أَهْلَهَا

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَخَذُوا الْأَزْجِيَّ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَعْلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَاسْتَوْطَنُوهَا : وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ أُلُوزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعَمَالُ وَجِبَاهُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمُلْكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلُسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَإِنَّهُمْ فَاقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَنْبَاءَ لَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَذَقِ وَالْتَجْوِيدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَأَسْتَبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلَ مَنْ
اسْتَبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَاحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأَحْيَالَ فِي وُقُوعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَلَّلَ لِلنَّظَرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْغُيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للقري)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلخوا عينيه ثم قتلوه وملكوا عليهم حرام المرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتكر كانه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيين وصار الى الرها ومنها الى ميج وكتب الى موريقي كتابا نسخته:

٣٢٤ لِلْبَابِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
ابْنِ هُرْمَزِ السَّلَامُ . اَمَّا بَعْدُ فَاِنِّي اُعْلِمُ الْمَلِكَ اَنْ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِيْدٍ اَبِي جَهْلُوَا قَدَرَهُمْ وَلَسُوا اَنْهُمْ عِيْدٌ وَاَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نَعَمْ اَبَايَ لَدِيْهِمْ فَاعْتَدُوا عَلَيَّ وَاَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ اَنْ اَفْرَعَ اِلَى
مِثْلِكَ فَاعْتَصَمْتُ بِفَضْلِكَ وَاَكُوْنُ خَاضِعًا لَكَ . لِاَنَّ الْخُضُوْعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا اَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوْعِ فِي اَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ . وَلَا اَنْ يَكُوْنَ
مَوْتِي عَلَى اَيْدِي الْمُلُوكِ اَفْضَلُ وَاَقْلُ عَارًا مِنْ اَنْ يَجْرِيَ عَلَى اَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَرَعْتُ اِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً اَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُعْذِّبَنِي بِجُيُوشِكَ لِاَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَاَصِيْرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لما اليه فانجده بمشرين ألفا . وسير له من الأموال أربعين قطارا ذهبيا وكتب اليه كتابا نسخته:

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوْعَ السَّيِّحِ اِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَسْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ. وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
 غَمَطًا وَخَرَجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَخَصِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَقَدْ أَحْلَايَ مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ. فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسَدَ ارْتَحَتَ جَنَاحَ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْأَسْتَظْلَالَ بِكَتْفِهِ
 آثَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُعَيْتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا. وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا. فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ الْجُيُوشَ
 وَسِرْ عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ وَعَوْنِهِ وَلَا يَغْتَرِكَ الصُّجْرُ وَالْهَلْعُ. بَلْ تَسْتَمِرْ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تُقَصِّرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَانْحَطَطْتَ عَنْ
 مَرَاتِبِكَ. فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِنْ مَرَّتْ بِكَ بَرَجَاءُ اللَّهِ تَعَالَى (لَا بِي الْفَرَجِ الْمُلْطِي)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
 مِنْ كَثَرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبُيُوتِ
 الطُّرُقِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ. وَلَمْ

أَقْدَمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْعَلِ
 الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مَنْ تَعْلَمُ قَوْمٌ مُحْصَرُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِئُ فِي الْخُرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْتَدُ عَنْ الْحَقِّ وَأَنْكَبُ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَصَصِرَ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 وَالسَّلَامُ (جلال الدين السيوطي)

كتاب غنبة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقعة

يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وغبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّاذِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا يَزِدُّ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ
 لَا ذَنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالْثَّأْيِدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُضَيِّجُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْتُهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

(فوجه عبسة باليتين الى الاعراب فابقي منهم اثنان) (لابن عبد ربّه)

في الطلب وحن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبّيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلَ وَذَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِعْفَالٍ بَعْدَ تَعَاهِدٍ حَتَّى تَكَلِّمَ عَدُوَّ وَشِمْتَ حَاسِدٌ. وَلَبِيتَ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لِأَعْبَاءٍ وَلَهُمْ مَخْرَسًا. وَاللَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدَ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَّعَ فِي رُفْعَتِهِ): أَنَا أَسْعِدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهَدْتُ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ. وَلَيْسَ مَنْ أُنْسِيَنَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مَنْ أَخْرَنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ غَلَّتَكَ وَتُعْرِفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربّه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُنْخَصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيحَةً. أَرَى بِبِقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. قُرَّةٌ أَتَوَقَّفُ تَوَقَّفَ الْخُفَيْفِ عَنْكَ

مِنَ الْمَوْتَةِ وَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُتَمِّدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلَبَ الدُّنْيَا بِهَيْبَتِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نُجِدُ الْحَيَاةَ طُعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَلَنِّنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَدَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فصلُ) : لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى حُبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوُدَّ وَالْإِتِّمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخَيِّرَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 الْفِرَاسَةَ تَعْدِينِي فِيكَ . (فصلُ) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِذَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَفْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد القرید)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنه المنذر وابعدهُ لسوء خلقهِ فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إني قد تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْغِرِّ فَقِيدَ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ أَرْتَكِبْتُهُ وَعَلَيْهِ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالْهَرِّ لَاعَارُ بِمَا فَعَلَ الْهَرُّ

(المقري)

(فلما وقف الأمير على رُفْعَةِ أَرْجَعِهِ إِلَى مَا اعْتَادَهُ)

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الحلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمَ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِيَّ النَّوَاحِي وَسَمَاوُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَقَتْ. وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تَفْرُدْنَا قَلِيلٌ. وَلَا تَفْرُدْنَا فَنَذِلُّ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرٌّ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَجُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَلِلَّهِ دَرَجَاتُ الْجَمَالِ. إِنْ طَلَعْتَ بَذْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةٌ بِجَمِيَّاهُ. فَهُوَ أَثَقُ قَدْ حَوَى نَجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى
ظُلُوعِ بَذْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ اسْتَمَلَّ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
بِهِ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِفَيْتِكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَصْبَغَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ نَحْوَ أَلْبَابِ نَازِرَةٍ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ الدُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَعُ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ تَمَلُّ مَسَرَّاتِ الْهَنَاءِ بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب صاحب ابن عبَّاد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَرٍ إِلَيْكَ مُعَوَّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمِينَاكَ. وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْنَيْكَ كَمَقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتَهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لَتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَمَرِهِ . وَالْمَاءَ إِلَى مَقَرِّهِ . لِيَلَّا يَجْبُثَ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في الغتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْضِي عَنِ الطَّلِيَّةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فَضْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا اسْتِعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النُّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ أَقْلَبَكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَتَى ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَتَنِي أَرَاكَ بَعِينَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَضْلٌ) . إِنْ مَسَلْتَنِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَشْبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللُّؤْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسَلَّتُكَ
مَا سَمَحَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَشْبَكَ سَبَبًا لِمَنْعِ مَعْرِفِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْتِنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَرَقَبْنَا أَنْبَاهَكَ مِنْ رَفَدَتِكَ .
وَصَبَرْنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْطِ فِيكَ . فَهَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلَطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلِكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَنِّي حَدَثُ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَزْجُو أَنْ
بَتَّاضِي كَرَمِكَ إِتْجَارَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَلْبَغَ الشُّغْمَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فَضْلٌ) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَاشٍ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَزْعَمُ لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِهِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَاذَا أُلْوزِرُ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتَبِي قَدْ أَقْبَتْ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ النَّمْدُ فِي الصُّحْبَةِ مِنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
لَفَهْوِ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأٍ وَاقْتِدَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

فاجابه ابن الزيات :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تُكُونَ عَلِيًّا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ ثَمَّكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِ سَبِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَوَمَا سَاحَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ قُبْحُ فِعْلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
وَوَضْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدْيِ لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
هَيْبَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَنْدَمَ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنِ سُلْطَانِهِمْ . فَاحْذَرِ أَنْ تُدْرِكَنِي
وَأَيَّاكَ عَمِيَاءُ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَانُ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرِ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْبَحِ بَابَكَ لَهُمْ .
فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قُشِتَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْبَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ
وَمَرْكِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَيْتَةٍ

وَالْمُخَبَّرَةُ حَلِيفُكَ . وَالدَّفْتَرُ أَلْفُكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِخَاكَ . فَتَغْيِرُ
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوعية

٣٤٦ إِنَّ حَقَّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِذُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فِقْدَمَ مُحْسِنِهِمْ وَيُؤَخِّرَ مَسِيئَتِهِمْ .
إِنْ زَادَ هَوْلًا فِي إِحْسَانِهِمْ وَزَادَ جَرَهُوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَصْلٌ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُفَّاظِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَعَمْرِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَصْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَّةً وَتَمَلَّتِ الرَّعِيَّةُ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبَتَدْبِيرِهِ وَذِيهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ .
وَبِحَيَاظَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ . مُوَيَّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالْتِمَكِينِ .
مَوْضُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المديح والشكر

فصول لمحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُعْجَةِ أَحْيَتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقَتَّ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَارْتَمَتْ أَنْفُ الْحُسُودِ
فَتَحَنُّ نَجْأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ النُّجْتِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . انْتَجَزْتُ فِيهِ عِدَّةَ الرَّأْيِ وَبُشْرَى الْفِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مُبْلُوعًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المديبر

٣٤٨ إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّهِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تَلَحُّهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَذْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤَنِّينَ مَعَهُ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَنْ تَخْلُقْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ

مَهْنَةً بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنْ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةٍ بِفَرَاغِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَقْضِي حَقَّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ . وَفِيَّ عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَأِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي إِلَى كَرَامٍ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لْمُهْدِي مَالَكَ إِلَيْكَ . وَتَرَعْتُ إِلَى مَوْدَتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِيزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَانِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْمُقْصِرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ نَحْوَكَ .
فَاعْسَى أَنْ أَهْدِي إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْصَرَ نَاعَلِي هَدِيَّةً تَقْضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَعْمُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبَرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنَّبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَخَلَّاهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَلَهَا فَتَقْلَقُ بِبَهَائِهَا (لابن عبد ربّه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥١ بَلَّغَنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَصِيبَةِ مِنْ غَمٍّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَرَ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خَطْبٌ ثَقُلَ حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى الْمَعْرِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمَعْرَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :

فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمِشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ أَدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ لِعِضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمُفَاجَأَةِ الْمَصِيبَةِ لَذَعَةُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاتَلَةِ الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّفِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَحَقَّ مِنْ تَعَزَّى وَأَوَّلَى مَنْ تَأَنَسَ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَبِلَ تَأْدِيبَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصَ الْبَلْوَى مِنْ تَجَرٍّ مِنَ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَاعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأَنْسَ مِنْ كُلِّ فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْعَاكِرِينَ وَمَوْرِدُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْقَائِزِينَ وَقُرْبَةَ الشَّاكِرِينَ .
وَجَمَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا حَاقَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَاقْبَلْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى علي

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه الجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَيْرُ الْجُدَرِيِّ فَقَالَ مَنِّي وَهَمَّجُ خُرْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعَلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِي الْعَيْنِ قِطْعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيْقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَمَّعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَتَمْرِي إِنَّهَا ثَوْرُ سَوَادِ اللَّوْنِ . وَتَنْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِنْ خَلْقِ عِلَّتِكَ . وَارَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَّاكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالتَّيِّبِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَاءَ أَذْوًا مِنْ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءَ أَشَقَّ مِنْ مَهْلٍ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأَ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيْبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بانه عليل

٣٥٦ وَصَلَ بِكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّيْ
أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَقَتَّنَهُ مِنْ ذِكْرِي عَلَيْكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَهَا كَهْفَارَةً
وَأَخْرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالْتَّمَعِدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عَلَيْكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَقِسْمِكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلِدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلِدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ التَّحْذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ (له)

فصول في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَعَ تَحْوِكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا لِيُزِمْنَا ذِمَامَهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدَيْنَا
مِنْ الذِّمَامِ مَا لِيُزِمْنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِّي شُكْرَهُ (لابن عبد ربّه)

الْبَرَّاقُ الثَّاسِعَ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرَيْنِ رَوْحَانُ بْنُ أَسَدٍ
الْتَّمِيحِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْأَبِلِ وَيَحْلُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمَرَامِي
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْأَنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بِدِينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْقُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحْمٍ. مَا لَمْ يَكُنْ لِفِرْعِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَغْلِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَنْغِيهِ
وَالْبَسْ لِسِرِّكَ مَا تُحْفِيهِ مُجْتَهِدًا وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَنْغِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يَجْنِي صِدْقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سَوْءُ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طَيِّ وَقُضَاعَةَ الْحُرُوبُ الْمَشْهُورَةُ
وَتَعَاظَمَتِ الْقِتَّةُ بَيْنَهُمْ وَاتَّسَعَتْ أَعْيَا التَّدْيِيرِ فِي الصِّلَاحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كُلِّبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم يجنى على الكثير تاريخهم. وقد افردنا بابا آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم ففى علينا ضيق المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطللنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالا على سنة الميلاد والثاني على سنة الوفاة. وان لم نترأ اعددا فذلك تاريخ سنة الوفاة وهو بحسب التاريخ المسيحي

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَعِجِدُونَهُ وَقَالُوا : قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ . وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ . فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَمْعِرِي أَسْتَ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِتْنَانِي أَوْ أَسِيرُ
أَأْتِزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ
ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
بَأْسِهِمْ وَتَجَدُّهُمْ فَشُدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَابْدُؤُوهُمْ بِالْفَارَةِ . فَوَضَعُوا فِيهِمْ
السُّيُوفَ وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا . فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةِ مُرِيعَةَ .
وَأَتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ . وَامْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ .
وَعَظُمَتْ مَنَزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَاسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَأَثْمَنُوا عَلَيْهِ
جَمِيلًا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسَ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ .

٣٥٩ (أَمْرُ وَائِلِيسِ ٥٦٦) . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ أَمْرُ وَائِلِيسِ بْنِ حَجَرِ
ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبِ الْمُعَلَّقَةِ الْمَشْهُورَةِ . وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . سَبَقَ إِلَى
أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ . وَكَانَ تُحْجَرُ
أَبُو أَمْرِي الْفَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً . قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ :
فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِي الْفَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرٍ أَبِيهِ فَقَالَ : الْحَزْرُ عَلَيَّ
وَاللَّعِبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً . وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةٍ
ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَائِلِيسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَرَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْعَرَبِ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرَأَيْتُمْ لِبَرَقٍ بَلِيلِ أَهْلِ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزْعُوعٍ مِنْهُ الْفُلُلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ بِهِمْ أَلَا تَكُلُ شَيْءًا سِوَاهُ جَلَلِ

ثُمَّ أَرْحَلَ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغَلَّبَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَعَثَ الْعَمُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعَمُونَ وَلَجَأُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُوا أَسَدٍ جَائِمُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرْحَى
وَأَقْتُلُوا فِيهِمْ . وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَغَلَّبَ أَبَوَانِ يَتِيمُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُومٌ . وَكَرِهُوا قَاتِلَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَهَرَ بِبَنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَأَلَحَّ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَأَمَدَّهُ أَنْوَشِرَوَانُ بِحَيْشٍ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
غُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكْكِ الْمُرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَذْرَاعٌ يُتَوَارِثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَمَا
لَبِثَا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكْكِ الْمُرَارِ . فَأَسَدَهُمْ وَتَجَا
أَمْرُو الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَيْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِئِ

الْقَيْسِ وَالْأَدْرُعَ وَالسَّلَاحَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ بْنُ مَازِنٍ
الْقَزَارِيُّ : يَا أَبْنُ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
بِمَكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرِ لِيَصِيفِ نَازِلٌ وَلَا لِيُجِدَ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَنِيَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْنِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدُّوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاجِئًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ تَحْمَلِ حَاجَةٍ إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسَبِّقْ
وَعَرَفَ لِمُ السَّمْوَلِ حَقَّهُمْ فَأَزَلَّهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بُرَاحٌ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سُمَرَ
النَّسَائِيِّ بِالسَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجِدَّ لَهُ رَجُلًا وَأَسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَدْرَاعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَخْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيرًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْرُوكَ بِمَنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

حِينَئِذٍ بِحُلَّةٍ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٍ مَأْسُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَنَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
إِلَيْكَ بِحُلَّتِي أَتَى كُنْتُ أَلْبَسَهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسَهَا
بِالْيَمِينِ وَالْأَبْرَكَةِ . وَاتَّكَبْتُ إِلَيْكَ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
لَبَسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ الثُّمُوسُ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسَمِيَ ذَا الْفُرُوحِ (الْأَغَانِي)

٣٦٠ (عَدِي بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زُرَّارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَضْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَتَيْعَ طَرَحَهُ فِي الْكِتَابِ
حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًّا إِلَى كِتَابِ الْفَارِسِيَّةِ .
فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهَا وَأَقْصَحِهِمُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشُّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّحْمَى
بِالنِّسَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرَّثْمَةِ . وَتَعَلَّمَ لَبَّ الْأَعْجَمِ عَلَى الْحَيْلِ
بِالصَّوَالِجَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ أَتْبَعَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيٌّ
أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانِ كِسْرَى . يُؤْذَنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
وَهُوَ مُجِبُّ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَمَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى الثُّعْمَانُ بْنُ
الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَيْرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
أَسْمُهُمَا أُمِّي وَغَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجَزَلَ صَلَاتَهُمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَأَوْلَاهُ
مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى أَسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيٌّ يَقُولُ الشُّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ الثُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسَامَ بِمَنْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقَرَّرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ الْغَيْبِ
يُكَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَشَنَ خَانُهُ خَرَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلِبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرِي :

وَتَقُولُ الْأُمْدَاءُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقُنُوا بِبَلَاقِ
يَا أَبَا مُسَهِّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنُ الْعِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنِّي مُوثِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغَلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكُبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمْ إِنْ عِيراً تَجَهَّزْتَ لِأَنْطِلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كَسْرِي فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكُتِبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَا مَرُّهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَاتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِي فَأَغْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ الْإِصْبَهَانِي)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدي الى كسرى سكت اشهرًا على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوَّع حتى أتاه كتابه أن أقبل فإن للملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب وليس احد منهم يقبله خوفاً من كسرى . فقال له بعض أصحابه : عندي رأي لك لست أشير به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هات . فقال : ان كل أمر يميل بالرجل ان يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل أحد . ولأن قوت كريماً خير من أن تعجز الذل أرتبى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَبَكَتُ الْعَالِي وَيَحْيَى الذَّمَامَ
وَيَمْرِي الضَّيْفَ وَيُشَيِّعُ الْجَانِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
وَيُنْفِسِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
الْعَرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَتَمًا
زَلَّ عُرْفَ مَنْزِلِهِ وَكَانَ مَظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنْهَبَ . وَإِذَا
سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضْلَلِ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحَ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يُخْرِعُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٧٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ . بْنُ أَبِي الصَّلْتِ
الْثَّقَفِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةٌ مِنْ
رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعِثِ . وَيُنْشِدُ
فِي أَثْنَائِهِ الشَّعْرَ الْمُنِيجَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْتَمَسْتُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا إِنْ صَفَحَ عَنْكَ فَعَدْتَ مَلَكًا عَزِيزًا . وَأَمَّا إِنْ
أَصَابَكَ فَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِنْ يَتَلَمَّبُ بِكَ صَمَالِكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفُكَ ذُنَابُهَا وَتَأْكُلُ مَالَكَ
وَتَعِيشُ فَقِيرًا مُجَارِرًا أَوْ تُقْتَلُ مَقْبُورًا . فَضَى إِلَى كَسْرَى حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ بَلَغَ كَسْرَى أَنَّهُ
بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَدَّهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى صِحْنٍ كَانَ لَهُ بِخَانَتَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
الْكَلْبِيُّ : الْقَاهُ نَحَتْ أَرْجُلَ الْفَيْلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِحِينَ (الافغانى)

وَرَبَّنَا اُنْجِدْ عَنْ كِبَرٍ زَارٍ فَأَوْزِنَا مَاؤُنَا بَيْنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمْتَ مَعَدٍّ أَفْنًا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخَبِّرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
بِأَنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ وَأَنَّا الصَّارِبُونَ إِذَا التَّمِينَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَّا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَّا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ خُطُوبُ فِي الشَّيْرِ تَبْتَلِينَا
وَأَنَّا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ أَكْفًا فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشْرِدُ بِالْخَافَةِ مَنْ أَنَاا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
نَسِيرُ بِمَفْشَرِ قَوْمٍ لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَيْضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا أَلْوَرْدُ الَّذِي نَشْرُهُ يَعْبَقُ مِنْ طِيبٍ مَعَانِيكَ
دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكَ
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ التَّيْمِيَّ صَدِيقَهُ :

خَلِيلُ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحُ عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ اتِّسَاءُ
قَالَ اللَّيْثِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَلَّ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرْضَةُ مِنْدِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ قَائِلًا لَا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمْ . لَا مَالَ لِي
يَفِدُنِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا
إِجْمَلَ أَلَمْتُ نُصَبَ عَيْنُكَ وَأَحْذَرُ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا بِي زَكَرِيَا النُّووي)
٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْأَنْدَرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
نَضْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ أُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِرِّهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانٍ يَقْرُبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَإِذَا كُرُوا مَا تَرَى الْعَرَبَ وَأَشْعَارَهَا قَالَتْ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَيْعِ السَّيِّحِ أَتَمَعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَيْتُ أَنَّكَ تُجِيدُ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمَنَا الْإِنَانِينَ إِذْ تَخَطَّوْا أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْئٌ وَلَيْعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَأَلَّهَ تَفَنَّا تَذَكُّرُ الْأَسَدِ مَا حَيَّتْ وَاللَّهِ
إِنِّي لَأُحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَبًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَتَرَحُّ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . وَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْتَى كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صِيَابَةٍ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَسَارِقَ حَسَنَةَ تَزِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَانِهَا وَنَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ
الْغَسَّانِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطُ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةِ الْقَيْطِ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ . وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمَمْزَاءُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هَذَا
الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَأَ لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمِ الْغُلِّ . أَشْجَارُهُ مَغْنَّةٌ
وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوَحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ . فَأَصَبْنَا مِنْ
فَضْلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءُ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَطَاطِنَهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْخَلِيلِ أَذُنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ يَدِيهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْتَ أَنَّ
جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْخَلِيلُ وَتَكَمَّكَتِ الْأُيُلُ وَتَهَقَّرَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
بِشْكَالِهِ . وَنَاهِضٍ بِعَقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أَتَيْنَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَابِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَظَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ تُجَنُّوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بِصَدْرِهِ فَيَحِيطُ . وَلِبَاسِهِ غَطِيطُ . وَلِطَرْفِهِ وَمِضُّ . وَلَا رِسَاعَةَ نَقِضُ .
كَأَنَّمَا يَخِيطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةٌ كَالنَّجْنِ . وَخَدٌّ كَالْمَسْنِ .
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَهَدَّانِ . وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
تَحَالِبِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ يَدَيْهِ فَارْهَجَ . وَكَثُرَ فَافْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَضْفُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْبَى فَاقْشَعَرَّتْهُمُ مِثْلُ فَاقْشَعَرَّتْ . ثُمَّ
تَجَمَّهَ فَازْبَارَ . فَلَا وَدُو بَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَارَةٍ
كَانَ ضَخْمُ الْجُزَارَةِ . فَوَقَّصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَضَهُ فَفَضَضَهُ فَفَضَضَهُ فَفَضَضَهُ فَفَضَضَهُ

يَلْبُغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا فَفَضَّضَهُ
نَفْضَةً تَرَأَيْتَ مَفَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَقَرْتُمْ زَقَرَ قَبْرِ . ثُمَّ زَارَ فَجَرَ حَرَّ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ أَلْبَرْقُ يَطَّارُ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبَيْنِهِ .
فَارْعَشَتْ أَلْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتْ أَلْأَرْجُلُ وَأَطَّتْ أَلْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَبَتْ
أَلْأَسْمَاعُ . وَتَخَصَّصَتِ أَلْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ أَلْمَتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عَمَّرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنَفٍ وَذِفْنٍ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغا نِي)
٣٦٤ (أَلْقَطَايُ ٧١٠) . وَوَلَقَبُ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شُعَيْبٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ أَلْمَلَاءَ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنْ أَلْقَطَايِ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ أَلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ أَلْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي أَلشُّعْرَاءَ وَأَلشُّعْرُ لَا يُنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ أَلْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَا مِدَحُهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
أَلْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمَرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ أَلْحَبَابِ إِحْمَارَةَ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ ثَقَلِ اسْتَحَرَّ بِهِمْ
أَلْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَلْقَطَايُ . وَأَخَذَتْ إِبِلُهُ
فَأَتَى أَلْأَمِيرَ زُقَرَ فَعَلَى سَبِيلِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ أَلْقَطَايُ يَمْدَحُهُ :
يَا زُقَرَ بْنَ أَلْحَارِثِ ابْنَ أَلْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتَ فِي أَلْحَيِّ قَدِيمَ أَلْمُقَدَّمِ
إِذْ أَتَجَمَّ أَلْقَوْمُ وَلَمَّا تَجَجَمَ . إِنَّكَ وَأَبْنُكَ خَفِظْتُمْ مَحْرِمِي

وَحَمَنَ اللَّهُ بِكَتْمِكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَرْمَدَتْنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَالْحَيْلُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيُّهَا تَأَمَّلَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ . قَالِ السَّمْعَاءُ قَصِيرُ
 الذِّرَاعِ . قَالَ : وَمَا قَالَ . فَأَنشدهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ :
 إِنَّا نَحْبُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَالُ وَإِنْ بَدَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطِّلُّ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَالَا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالنَّيْسُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْقِلُ
 قَدْ يُذْرِكُ الْمُنَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
 حَتَّى آتَى عَلَى آخِرِهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : تَكَاتِ
 الْقَطَامِيُّ أُمَّهُ . هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ . وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ :
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ . فَعَلَبَتْ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلُّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ . وَهُوَ وَجَرِيْدٌ وَالْفَرَزْدَقُ
 طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ . سُئِلَ حَمَادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرَهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيزٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا أُجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِقَرَأِئِصِ
 وَأَمْدَحِ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيذٌ ثُمَّ الْقُرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبُّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّائِنَةِ لِعَيْتَةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمُرَاعَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِذْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِذْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِينُ قَرَأُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَّتْ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيَمْحَكَ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشَعْرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْفَيْ بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ بِجَنْفَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَلَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خَلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَعْرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَمِيحُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزَّ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بِمَا لَا يُلْتَقَى فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى التَّوَّاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَائِضِ الْعَمْرَةَ أَلْمِيحُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقُولِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَمِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا أَلَمِيدُ
لَيْمٍ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعِزْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كُنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ . فَبَجَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . قُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَفْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ أَلْقَسَ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيُخْلِيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْقَسَ فَانْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّمَ . قُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْلِي عَنْهُ . قَالَ : أَعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقُ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيُهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتُهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْحَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ اسْتَفُّ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ يَسُوقُ عِكَاطًا وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ قَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ . لَيْلٌ
دَاجٍ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . يُحَادُّ تَرْخَرُ . وَنُجُومٌ تَزْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
وَبُرٌّ وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تُرْكَوْا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَذْرَكَهُ فَأَتَبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وحُنين الحيري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة
متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصَّرَ قبل وفاته . ومنهم ابو قابوس والرباب بن البراء وخالد
القسري . وقد ذكروهم جميعاً صاحب الاغاني . ومنهم ابو الميج الماتى ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي وراثؤه للثني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطيب .
ومنهم ساجان بن اسماعيل الماردني وله نظم رقيق حسن الموقع في الفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري
فيقولوا الصانع وغيرهم ممن يُستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

لَّمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا بِمِضِيِّ الْأَصَاغِرِ وَالْأَكْبَارِ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا حَاحَ لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَارًا (*)

٣٦٧ (إِلَيَّا الثَّلَاثُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخَلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِيَّيْنِ قَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبَيْنِ
فَانْتَشَرَتْ شَهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَّ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
الْأَخْيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِثُّهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكِرَامًا وَحُسْنًا وَبِلَاعَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ فَطْرَكًَا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ.... وَوَقَّعَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْخَيْرَاتِ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بئنا أنا ببجليل يقال له سيمان في يوم شديد
الحر إذ أنا نفس بن ساعدة وبقبرين بينها مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فانتخذت بينهما مجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بها ثم ذكر أيامها
فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي مُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَأْوَدٍ هَذِهِ	وَلَا بِجُزْأَقٍ مِنْ نَدِيمٍ سَوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرِكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ مُجِيبٌ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ بِجَرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعُقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمَا كَمَا تَحِيبَا وَتَنْطَقَا	وَلَيْسَ مَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيًا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بَابِي لَا مُحَالَةَ هَالِكُ	وَأَنِّي سَيَعُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
سَأَبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا

مَا رَى الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْخَلْقَةِ سَخِيًّا بِأَمَالٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ الْخَوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جَمَلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصَحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَخَرَ الْكُرْسِيَّ تَذْهِيرًا
 حَسَنًا وَاسْتَبَاحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيُغَيِّرُهُمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخِطَابِ
 بَيْنَ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثُوتُمْ بِأَمْلِكُكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعروبن متى) (*)

مشاهير أطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيُورْجِيُسُ بْنُ بَجْنِيْشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْاَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَمَا بَنَى بَعْدَادَ أَذْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتِمْرَاءٌ وَقَلَّةُ شَهْوَةٍ
 وَكُلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضُهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْجِيُسَ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو مدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الصمداني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جاقولا ثم انقطع الى الله وتصر بالقسطنطينية

بِجَنِّيشُوعَ الْجَنْدِيسَابُورِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَابُورَ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِجَنِّيشُوعَ
بِالْبَهَارِ سِتَانِ . وَاسْتَضَجَّ مَعَهُ تَلْمِيزُهُ عِيسَى بْنُ شَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
بَغْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَّرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
جِيُوزْ جِيسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِثْرَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
كَمَا يَكْرُمُ أَخْصَ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيُوزْ جِيسُ يَتَلَطَّفُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
حَتَّى بَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيُوزْ جِيسُ . فَلَمَّا
اتَّصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
لَا يَجُوزُ لَنَا مَعْشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِكَثَرٍ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسَنَ مَوْقِعُ هَذَا مِنَ الْخُلَيفَةِ وَزَادَ
مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعِفَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيُوزْ جِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعُلَمَاءِ . وَخَرَجَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ
وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ فَخَبَّرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مُنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُوزَجِيسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَنِي يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ لِيُوزَجِيسَ بَعَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْأَنْصَرِافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَجْمِلْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَدْفِنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُوزَجِيسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحْمَةٍ . فَقَالَ لِنَجِيِّ بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هُوَلَاءُ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِشُوعِ بْنِ جِيُوزَجِيسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نِسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَعْبَاهَ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ نَجِيٍّ . فَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِشُوعٍ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرٌ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمُهُ وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أِبْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضَرْنِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ مُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَرَأَى فَأَحْبَبَهُ جَعْفَرٌ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ التَّوَكُّلِ اشْتَهَرَ
حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيُّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قِبَايِلَ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَوَاهَا بَظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسْمَوْنَ بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَبِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَثُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
حُثَيْنٍ صَيْدٍ لَا نَبِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا لَشَأُ حُثَيْنُ أَحَبَّ الْعَالَمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسَوِيهِ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ الْأَمَّةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَدِيثَ
أَنَّ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُوسُفُ
الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَجْدِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُثَيْنًا
وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطِبُهُ بِالْتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرَّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّرَ
ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا أَنْتُمُ .
قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ مَدَّةَ فِي الْعَمْرِ لَيَفْضَحَنَّ سَرَجِيسَ . وَسَرَجِيسُ هَذَا هُوَ
الرَّأْسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
أَمْرُ حُثَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَايِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي النُّقْلِ وَالْتَّفَاسِيرِ حَتَّى
صَارَ يُنْبَغُوا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِنَفْضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ .
فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُثَيْنُ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تُصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا زَيْدٌ قَتَلَهُ . وَلَيْسَ

وَجَالِيَنُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطِّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِيُ
 الْمُنْظَرِ حَسَنُ الرُّوَاءِ عَذْبُ الْبَحْلَى وَالْبَحْتَى لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ الْهَمِّ عَالِيُ الْهِمَّةِ ذِكِيُّ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسُهُمْ وَرَيْسُهُمْ . وَلَهُ فِي النَّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَيِّنَةٌ . وَذَكَرَ فِي النَّمُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنًّا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّكِ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَجَبُّ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرْمِ الْإِسْلَامِ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعَلَمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحِدِ الزَّمَانِ هَبَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجَذَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجَذَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شُعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 بَيْنَهُ وَالْكَلْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً كَأَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يُخْرِجَ مِنَ اللَّهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُّ لَا بِي شُعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُفَتِّهِهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِضُ

فَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي التُّرَيَّا وَهَذَا بِالتَّكْبُرِ فِي الْحَضِيضِ
وَتُوِّي ابْنُ التَّلْمِيذِ سَنَةً سِتِينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ أَلِمَاءَهُ مِنْ عَمْرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبِينَ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلِابْنِ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلَيَّاتِ ابْنِ سِينَا (الخريدة للعقاد الاصبهاني) (*)
مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلَطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالَ الدِّينُ غَرِغُورُ يُوسُفُ
أَبُو الْقَرَجِ بْنِ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مُحَلِّلُ الْمَشْكَلاتِ الْحَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحَدِّ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَمَةِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْأَطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّحَالُ بِأَرْضِ

(*) ومن اشهر ايضا بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهرة . ومنهم كُتَيْفَات
خدم البساسيري . ومنهم ابن القشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حَسَنُ الرِّهَاقِيِّ خَدَمَ سَيْفَ الدِّينِ وَزِيرَ قَلْعِ
أَرْسَلَانَ . ومنهم يَعْقُوبُ بْنُ صَفَلَانَ الْمَلِكِيِّ الْمُقَدِّسِيِّ اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وطاحله
وارتفعت عنده حاله . ومنهم صَاعِدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ وَابُو الْخَيْرِ الْأَرَكَنْدِيَّاقُونِ أَخُو الْجَالْتِيقِ ابْنِ
الْمَسِيحِيِّ . ومنهم صَاعِدُ بْنُ تَوْمَةَ الْبَغْدَادِيِّ الْمَلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ اسْتَوْفَى الْإِمَامَ النَّاصِرَ
(*) وَأَخْبَرَ فِي تَارِيخِهِ قَالَ : فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّائَةٍ (١٢٤٣) لَمَّا سَمِعَ أَهْلَ مَلَطِيَّةِ مَا
فَعَلَ التَّاتَارُ بِقَيْسَارِيَةِ هَلَعُوا وَجَزَعُوا أَفْخَسَ الْجَزَعِ طَالِبِينَ حَلْبٍ . فَأَمْسَكَ وَالَّذِي عَنِ الْخُرُوجِ
وَاجْتِمَاعِ بِالطَّرَانِ دِينُوسُوسَ وَتَشَاوَرَا فِي مِرَابِطَةِ الْمَدِينَةِ . وَجَمَعَ الْمَسْلُوبِينَ وَالنَّاصِرِيَّ فِي الْبَيْعَةِ

الْمُغْرِبِ . وَأَقِيمَ اسْقُفًا عَلَى مَدِينَةٍ مَلَطِيَّةٍ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فُضَلَاءِ
الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ تَارِيخِ مُخْتَصَرِ الدُّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ
التَّوَارِيخِ وَشَرَحَ قَانُونَ ابْنِ سِينَا وَبُشْرَاطَ وَدِيُونِسُورُسَ وَكِتَابُ دَفْعِ
الْأَعْمَى وَدِيَوَانُ شِعْرِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ وَغَيْرُهَا (١)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦-٩٠٢) . أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا الْحَاسِبِيُّ
كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ صَيْرَفِيًّا بِحِرَّانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَاشْتَغَلَ
بِمُلُومِ الْأَوَائِلِ فَهَرَفَ فِيهَا . وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْفَلَسَفَةُ وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ
فِي فُنُونِ مِنَ الْعِلْمِ مِثْلُ عَشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أَفَلَيْدُسَ الَّذِي
عَرَّبَهُ حُتَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَبَّادِي فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ وَأَوْضَحَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْجِلًا .
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي الْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ
أَشْيَاءُ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِي الْمَذْهَبِ . قَرَأَعُوهُ إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ
مَقَالَتَهُ وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الْهَيْكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
حِرَّانَ وَنَزَلَ كَفَرْتُوْنَا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنْ

الكوفة وتحالفوا أن لا ينجون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة
التاتار والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فظفرائه الى
حسن نياهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعضوا اليها . وفي إحدى
وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورنوبين بلد الشام واجتاز بملطية وخرب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطلب طبيباً يدأويه عن مرضي عرض له . فخرج اليه والذي وسار معه الى
حَرْتَ بَرْتَ فِدْرَه حَتَّى بَرَأَ . ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يُطِلِ الْمَقَامَ بملطية ورحل بنا الى أُنْطَاكِيَّةَ فَاسْكَنْهَا
(٥) . وَمِنْ وَرَخِي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العميد
مكتمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الرامب وابو البركات وابن السيجي وكثيراً ما يستشهدهم
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن مَتَّى (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السمعاني

بِلَادِ الرُّومِ . فَأَجْتَمَعَ بِهِ فَرَأَاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَضَحَّاهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَزَلَّهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . وَعَقِبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُدْعَى إِبْرَاهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةً أَيْبَهُ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالِجَ مَرَّةِ السَّرِيِّ
 الرَّقَاءِ الشَّاعِرَ فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَيْبِ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْأَلِهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَتْهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْدِي الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيِّ كَمَا بَدَا لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْعَدِيدِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦هـ) (٨٦٠م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِي . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقَ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمَدِينَةِ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ أَيْدُ الطُّولَى بِعُلُومِ
 أَلْيُونَانَ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَقِنًا عَالِمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأَلَّفَ الْحَوْنِ
 وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأَلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى سَمَوْهُ فَيَلْسُوفًا غَيْرَ يَتَقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرَ الْفُتُطَا بْنِ
 لُوقَا الْفَلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِي وَاسْتَوْتَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْبَكِيِّ . وَمِنْ أَلْسِبَاءِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدِّدَ فِيهَا أُعْتَرِضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ الْبِيرُونِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٦ (الصَّائِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّائِي صَاحِبُ الرِّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ
وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
الدَّوْلَةِ بِخِيتَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقْلَدَ دِيَوَانَ الرِّسَائِلِ
سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْمَلُهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ أَعْقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَقِيلَ لِعَضُدِ
الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّائِي دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنَ
التَّلْقِيقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّنْيِيزِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أَنْعَمْتُهَا
وَأَكَاذِيبُ أَلْقَمْتُهَا . فَحَزَّكَتْ سَاكِنَتُهُ وَهَاجَتْ حِفْهَةٌ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعِدًا
فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسْلِمَ
فَلَمْ يَفْعَلْ وَأَهْ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ (*) (لَابَنِ خُلْكَانِ)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نستغني بذكر بعضهم ففهم ابن
المقفع الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرّة البَيَعة ومعرب كتاب كَلِيلة ودمنة .
ومنهم زكريا الافريحي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
الفيلسوف معرب كتباً كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قزما المنشي . ومنهم القديس
يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرجة في
العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فيبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاةً للأدب . ودافع
عن أكرام الصُّور فردّت له العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الازوري . ثم انقطع
الى الله في بلاد فلسطين وألّف عِدَّةَ تَأْلِيفٍ فلسفية ولاهوتية فلُقِّبَ بِمَجْرَى الذهب وتوفي سنة
٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

أَلْبَابُ الْعَشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الإسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَائُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَافِلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَةٍ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَانَدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمَنَةً بَلَتْ وَهَبَ سِتَّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَقَّيْتُ أَخْذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَاطَتِهِ وَصَّيَّهَ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا زَلُّوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَخْلُلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخْذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعَشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ اسْمُهَا خَدِيجَةُ أَنَّ
يَخْرُجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا وَعُمُرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَقَّيْتُ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهَا جَرَعَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَتَرَبُّ . وَفِي (السَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
إِخْتَلَّ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَصَرُّوهُ عَلَى الْمُصَيِّبِينَ أَعْدَانِهِ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَدْرٍ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
وَهَزَمَ بِثَلَاثَةِ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
الشُّرَكَينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَنَجَّى فِي وَجْهِهِ
وَكَسَّرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (السَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِأَنَّهُ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَنْدَقَ وَبَقُوا بِضْعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
وَفِي (السَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ
مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (السَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
الْيَهُودِ وَيُنْقَلُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَهُ وَجَعَلَهُ
مِحْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الثَّامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفَتَحَ مَكَّةَ وَعَهَّدَ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ لَا يَفْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَن قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَعْلَقَ
عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
(السَّنَةِ الثَّلَاثِ عَشَرَ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخُتِجْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (الْسَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَمِينِ بَقِيَّتًا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلَمَّا
تُوِّفِيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ .
وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُضَ (*) (لَا بِي الْفَرَجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٣ - ٦٦٢)

خلافة أبي بكر (٦٣٣ - ٦٣٥)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللفظ . فلما أشفق
عمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر : ابسط
يدك فابايك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولا يبيع أبو بكر ضرب
بعتاً على أهل المدينة ومن حولهم . وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس : إن هؤلاء جلُ المسلمين
على ما ترى نجم فيهم الغفاق وانتفضوا بك . فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .
فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعت أسامة إلى الشام .
ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم . فاشبههم وشيهم
وهو ماشٍ وأسامة راكب . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله لتركبن أو لأتزلن . فقال :
لأزنت ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الأسر العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غالب على صنعاء ومغازة حرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين .
وَدَعَى الْبُيُوتَ وَطَابَقَتْ عَلَيْهِ الْيَمَنُ وَجَمَلُ يَسْطِيرِ اسْتَطَارَةِ الْحَرَقِ . فَبِمَتْ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا
لِحَاوِلَتِهِ أَوْ مُصَاوِلَتِهِ . فَدَخَلُوا عَلَى أَزَادٍ وَهِيَ امْرَأَتُهُ فَقَالُوا لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ قَدْ عَرَفْتَ لَنَا هَذَا

(هـ) وصفه علي بن أبي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقبل اللغو دائم البشر
طويل الصمت لا ينفرد أحداً . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير فخن الراس كث العبة مشرباً وجهه
حمرةً وقيل : كان ادعج العينين سبط الشعر سهل الخدين . واختلف في أزواجه قال أبو الفداء :
تزوج بخمس عشرة امرأة وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبرهم ابنه فإنه من مارية
القطبية التي بعث بها المقوقس ولم يمش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أبيها بثلاثة أشهر

الرجل عند قومك قتل أبائك وطأطأ في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم فهل عندك من مالا عليه . فاجابت أزاد الى قومهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو ينفذ فالحموه بمسلة وأمرأ الشفرة على حلقه . فنار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفخري)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة . وكان يجمع لقومه باجماع يزعم أنهما قرآن يأتيه وبأني بخناق يزعم أنهما معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربه . وكان بينهما وقعت واشتد الحرب بين الفريقين . واقبح المسلمون باجمهم الى مسيلمة وأصحابه . فقاتلوم حتى احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسيلمة فرماه بحجرة فوقعت على خصرته فسقط عن فرسه قتيلًا (للطبري)

فتح العراق (٦٣٣) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلماً . وكان ذلك أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليخارجهم . وكتب أبو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم بأجنادين فاهزم الروم . وقتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربو سقط من فرسه . فركبه غلامه فسقط فركبوه ثانياً فبهط ايضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني خلون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٥ - ٦٤٥) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٨) مصر (٦٤٠)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب بوجع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقام بعده بمنزلة سبرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة بالمسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم التاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين ومصر الأمصار وشهد بدرًا . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس . وهابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . وأولى الأمر لم يكن له همّة إلا العراق . فمعد لأبي عبدة بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق فعبروا اليها . فزحف اليهم العجم فقتلوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا بهران قائدهم . فانضم اليهم لاحقين بالمدائن ثم ولّى
يزدجرد عظيماً من عظام مرازبته له سن وتجربة يُقال له رستم . وعقد أيضاً لرجل آخر يُسمى
المرمزبان في جنود كثيرة . وعند الانقضاء قُتل هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالده دمشق بعد حصار سبعة أشهر فخرج أهل دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمّنهم وصالح أهل طبرية وقيسارية وبلبيك . وعلى يد عمر انتهى
الفتح إلى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كلّه بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيّيه وأعماله وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجاب . لم تغربه الإمرة ولم يستطل على مسلم بلسانه . ولا حابى أحداً في
الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يأس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الأربعاء
لحسب بقية من ذي الحجة . وقتله أبو لؤلؤة المجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافته عشر سنين وستة أشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا الخوي النصراني
كتب الحكمة التي في الحزائن الملكية . فكتب عمرو إلى الخليفة يستأذن أمير المؤمنين . فكتب
إليه عمر : الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وإن
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة إليه فتقدّم باعداها . فشرع عمرو في تفريقها على حمّامات
الاسكندرية وأحرقها في مواضعها . فاستيقدت في مدّة ستة أشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُويع له بالخلافة في أوّل يوم من سنة أربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وافتُتحت في أيامه أفريقية وغزاه معاوية قبرس وأقصره فافتتحها صلحاً . وانتزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها أخاه لأمه . ثم إن الناس انكروا على عثمان أشياء منها كلفه
بأقارب . فحققت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا فرسخاً من المدينة . وبعثوا إلى عثمان
من يستعبه ويقول له : إما أن تعدل أو نعتزل . وكتب عثمان إليهم كتاباً يقول فيه : إني أنزع عن كل شيء أنكرتموه وأتوب إلى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسوّر محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط
عثمان فضربه أدهم بمشقص في أوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته
اثنتي عشرة سنة . وعمره ثيف وثمانون سنة (للدميري)

علي بن أبي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار علياً يبايعونه

فأبى . وقال : أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتُ . فالتحقوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك . ثم أَدَّى الزُّبَيْرُ بنَ العَوَّامِ وطلحة الإكر . بعد ذلك وتقالاً على نقض إمارة علي . فلحق علي بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسميت هذه الوقعة وقعة الجمل . ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج علي من الكوفة وافتتلوا قتالاً شديداً في صقيين . ثم خادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن الجهم على قتل علي . وكمنوا له في المسجد . فلما خرج علي ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن الجهم على مقدم رأسه . فدعا علي قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصَّاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بكتما . ولا تأسفا على شيء . ذوى منها عنكما . وقولا للحقِّ وارحما النعم وكونا للظالم خصماً وللظالم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض . وصفه ضرار بن ضمرة قال : كان عليّ بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . ينوحش من الدنيا وزهرها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبرة . طويل الفكرة . يعجبه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جش . وكان فينا كأحدنا . يحيننا إذا سألناه ويأثينا إذا دعواناه . ونحن مع تقريبه لأنكاد نكلمه هيبة له . لا يطمع القوي في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتِلَ عليّ اجتمع أصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبوع معاوية بالشام . فسار الحسن إلى المدائن واستقر بها خمسة أشهر . ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه تبعته وأوزاره . فقال له الحسين أخوه : أنشدك الله أن لا تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بد من ذلك وقد اخترت العار على النار . وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً . فاجابه معاوية إلى ما التسه منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له الحسن بقاء من ربيع الأول . وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بوع بالخلافة استقام له الملك وصف له الولاية . وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المستومة . وكان كثير البذل والعطا . محسناً إلى رعيته . وهو أول من اتخذ المقاصير واقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحراوب وله في الحلم اخبار كثيرة . واعلم ان معاوية كان مربي

دولٍ وسائس أممٍ وراعي مالِك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه أحد اليها . منها انه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتسكن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سیر جيشاً كبيراً الى القسطنطينية فاولغوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القبروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : ألسم اهلِي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديمي فردوها علي ان استطعتم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تفرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفخري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويج له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد يحرص فقدم منها وباعه الناس . ولم يسايه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسار جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه واصحابه واحترقوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غزير ونصب الخنبيق على ابي قبيس ورمى به الكعبة فحرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين . وكان آدم جعداً احمر العينين . بوجهه آثار جذري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موافق الرغبة في اللهو والقتص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لاي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تمخلى بالعبادة ومات بالمعاون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويج بالاردن مروان بن الحكم وكان كاتب السراة . ثم دخل الشام فاذعن اهله له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحاك بن قيس . فاقتنلوا بنوطة دمشق فقتل الضحاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويج سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهله الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وبلغ جاده وحشاه تبتاً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فقيهاً عالماً وكان ديناً . فلما تولى الخلافة استهوته الدنيا فتمتد عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مفرماً بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنفض لذرير ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بنحس شريش فهزم الله لذرير واذغت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبي . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه اُحصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى المعتصمين واخرج الجوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة نصحاء واتخذ ابن عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهازه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشئ مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واككلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متحسناً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر عفيفاً زاهداً ناسكاً عادلاً تقياً . وهو اول من فرض لاهناء السبل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمرعان وكان موةً بالسم عند اكثر اهل التاريخ . فان بني اُمية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهد بعده الا لمن يصلح للامر فعاكلوه وما امره . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من ریح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متخرباً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يشتمل هذه الايات :

فأرك يا منور سهو وغفلة وليلك نور والردى لك لازم
يفرك ما يغنى وتفرج بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم
وشطك فيما سوف تكره غبة كذلك في الدنيا تعيش الهائم

(هـ) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٧ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربعة سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويغ له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايضاً . وكان ذا راي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اثم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خافان ملك الترك . وكان المتولي لحرهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فارسعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى . فجمع المساكر وناولش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته فحمل من المعركة فأت ودُفِن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من تبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٥)

٣٩٨ كان الوليد مقيماً في البداية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحةً وظرفاً واعرفهم بالغة والحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشد مجوناً وعتكاً واستخفافاً بالامر الأمي من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقه . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شر قتلة وصلب راسه على شرافات فصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم نائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي الناقص فتفائل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يتبع وبغته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٩ ثم بويغ اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخزان واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلصوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويغ له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجيمان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هريه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لاني الفداء) ثم بمجواه تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٧ وصية ابن سعيد المغربي لابنه	٣ الباب الاول في التدبیر
٧٣ وصية ابن طاهر لابنه	٣ عظمة الخالق وجبروته
٨٠ وصية ابراهيم الدكدجي لابنه	٤ من الشبانبة في التوحيد
٨٢ نخبة من حکم ابی عثمان لثون التميمي	٥ قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٤ نخبة حکم اوردها البستي في ديوانه	٦ من بدء الامالي في التوحيد
٨٥ نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦ التبارب	٩ قصيدتان له في الابتهاال الى الله ومحمده
٨٧ الصمت وحفظ اللسان	١١ وله ايضاً من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨ الصبر صدق النطق	١٢ قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله
٨٩ المكارم	١٣ قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف
٨٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس	١٥ الباب الثاني في الزهد
٩٢ لامية ابن الوردی	١٥ الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله
٩٤ نونية ابی الفتح البستي	١٧ قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨ الباب الخامس في الامثال	٢٠ زهد رجل من بني عباس
٩٨ امثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد ربّه	٢١ ذو النون والزاهدة
١٠٤ ابيات مثلية للتنبئ والحريري	٢٢ ذلة الدنيا
١٠٨ نخبة من الصادح والباغ لابن حجة الحموي	٢٣ زوال الدنيا
١٠٩ نخبة من قصيدة ابی العناهيبة المثلية	٢٧ ذكر النية والعواقب
١١٠ الباب السادس في الامثال والاشارات	٣٣ في الدهر ونوائبه
١١٧ الملك المتروكي	٣٤ قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
١١٨ نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	٣٥ للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٧ والازهار لابن غانم المقدسي	٣٨ ما كتب على القبور
١١٨ اشارة النسيم	٤١ الباب الثالث في المراثي
١١٩ اشارة الورد	٥٨ رثاء مشاهير العرب
١٢٠ اشارة الترجس	٦٥ الباب الرابع في الحكم
١٢١ اشارة البان	

وجه	وجه
١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخط	١٢٢ اشارة النخسج
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣ اشارة الخزام
١٦٢ الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤ اشارة الشقيق
فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥ اشارة السحاب
١٦٣ في الدول	١٢٦ اشارة الهزار
١٦٦ في شرف الكتاب	١٢٧ اشارة الباز
١٦٨ الباب التاسع في اللطائف	١٢٨ اشارة الحمام
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٣٠ اشارة الخنثاف
١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي	١٣١ اشارة البوم
١٧٠ الصلوات والصلاة	١٣٢ اشارة الدرة
١٧١ معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٣ اشارة الديك
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٤ اشارة البط
١٧٣ الباهلي والرشيد	١٣٦ اشارة النخل
١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيدي	١٣٧ اشارة الشمع
١٨٠ الباب العاشر في المدح	١٣٨ اشارة الغراب
١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٤١ اشارة العدهد
١٨٠ مدح المأمون	١٤٢ اشارة الكلب
١٨١ مدح مقامات الحريري	١٤٤ اشارة الجمل
١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحماة	١٤٥ اشارة الفرس
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٦ اشارة دود القز
٢٠٥ الباب الثاني عشر في الهجو	١٤٨ اشارة النكبت
٢٠٨ الباب الثالث عشر في الانغاز	١٤٩ اشارة النملة
٢١٤ الباب الرابع عشر في الوصف	١٥٠ اشارة العقاء
٢١٤ وصف مصر	١٥٢ الباب السابع في الذكاء والادب
	مدح مختلف العلوم
	ابو تمام والمتنبي وابو عبادة الجعفي
	وصف القلم
	وصف الخط

